الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: ط1:
ط2:

العلاقات الثقافية بين قلعة بني حماد وبجاية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تخصص: الغرب الإسلامي في العصر الوسيط**

إعداد الطالبتين:
وضاح بسمة
مويسات حبيبة

إشراف الدكتور:
تاحي إسماعيل

لجنة المناقشة			
اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
حروز عبد الغني	أستاذ محاضر-أ-	المسيلة	رئيسا
إسماعيل تاحي	أستاذ محاضر-أ-	المسيلة	مشرفا ومقررا
قوادرية النذير	أستاذ محاضر-ب-	المسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/ 2020-2021م

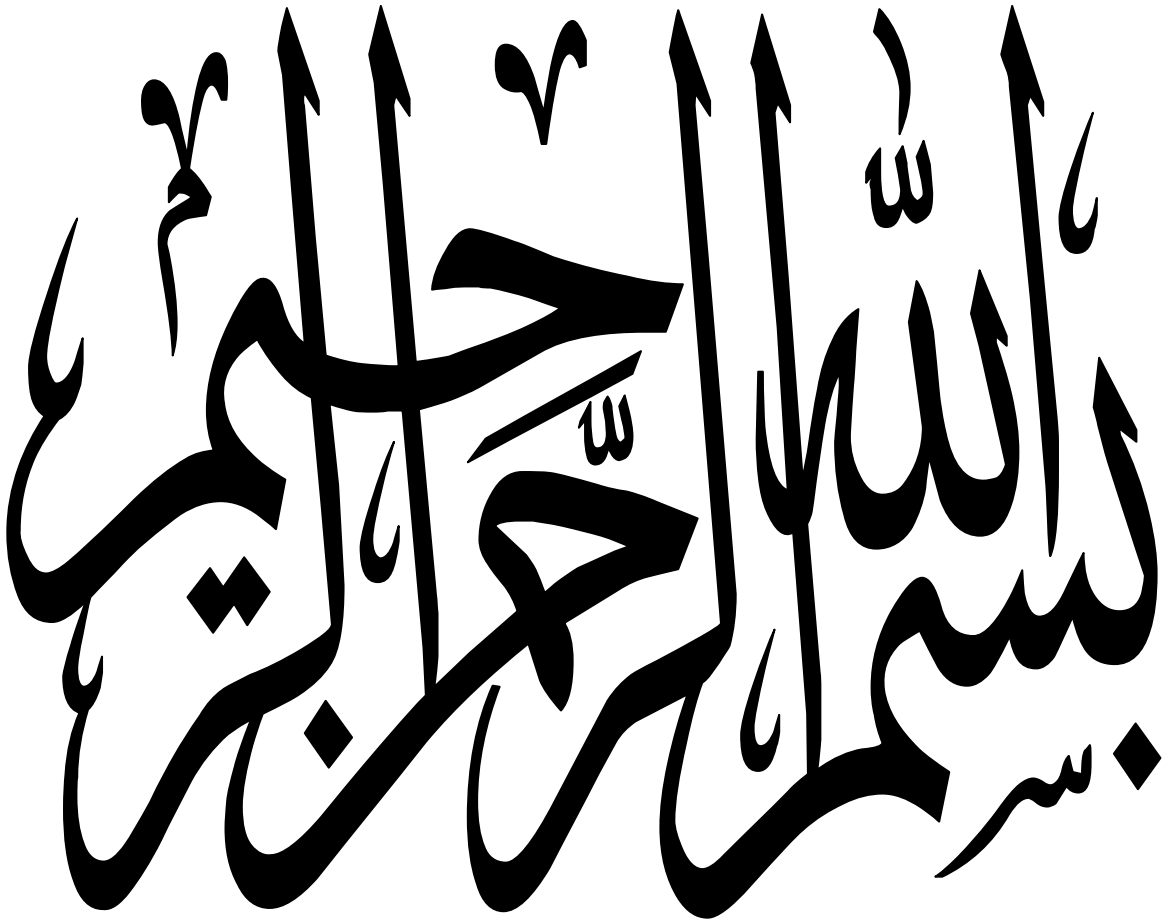
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله القائل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾

وقول نبيه صلى الله عليه وسلم

«من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

بعد شكرنا الله تعالى على فضله الذي هدا وأمدنا بالعون والإرادة لإنجاز هذا العمل المتواضع نتقدم بجزيل الشكر لصاحب الصدر الرحب الدكتور الفاضل: تاحي إسماعيل

الذي أشرف على مذكرتنا ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة وملاحظاته الرشيدة طوال السنة جزاء الله خير الجزاء

ونسأل الله أن يلبسه ثوب الصحة وطول العمر وراحة البال

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى رمز السبيل والعطاء إلى نبع الحنان والعطف إلى من سهرت من أجل راحتي وفرحت لفرحتي إلى من ترتاح لها نفسي بعد العناء "أمي الغالية".

كما أهدي هذا الجهد إلى الذي أنار دربي وعلمي أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة نحو الأمام أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى أسرتي وعلى رأسها زوجي قرة عيني وأولادي حفظهم الله ورعاهم

إلى الذين كانوا شجرة الإخوة التي قطفت منها ثمار الحب الخالص إلى من زرعوا الأمل إلى أعمدتي وذخيرتي أخواتي وإخوتي وأولادهم

إلى صديقتي الغالية التي رافقتني في إنجاز المذكرة مويسات حبيبة ولا أنسى صديقتي حفظها الله صغيري حنان

كما لا أنسى عائلة زوجي وعلى رأسهم أم زوجي أطال الله في عمرها

إلى كل من عرفتهم ونستهم مذكرتي ولم تنساهم ذاكرتي

بسمة

إهداء

إلى التي تقصر في حقها الكلمات وتكبو الأقلام عن بلوغ مداها خلد الله ذكرها في القرآن يتلى إلى يوم الدين، جعل الجنة تحت قدميها، حملتني وهن على وهن، قاسمتني الآمال، والآلام، الأفراح، كان بطنها لي وعاء وثديها لي سقاء وحجرها لي غطاء فهي أولى الناس بي إلى أمي التي كان لسان حالها الدعاء لي بالتوفيق

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يطيل في عمرها على الطاعة وأن يمنحها الصحة والعافية، وأن يجعل عافيتها جنة عرضها السماوات والأرض، وأن يكتب هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتها يوم العرض على رب العالمين

وإلى روح والدي رحمة الله عليه

وإلى جميع أفراد أسرتي إخوتي وأخواتي حفظهم الله ورعاهم

وإلى جميع الأحبة والأصدقاء خاصة صديقتي التي رفقتني في إعداد المذكرة وضاح بسمة وأختي حنان صغيري وإلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

حبيبة

قائمة المختصرات

الرمز	الشرح
ط	الطبعة
ج	الجزء
مج	مجلد
ص	الصفحة
ص ص	صفحتان فأكثر
د.م	دون مكان
م	ميلادي
هـ	هجري
ق.م	قبل الميلاد
د.ب	دون بلد
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
تر	ترجمة
تع	تعليق
تح	تحقيق
مرا	مراجعة
إش	إشراف

مقدمة

مقدمة:

عرف المغرب الأوسط ميلاد العديد من الكيانات السياسية، كانت لها بصمات وتأثيرات متفاوتة في مختلف المجالات، وإذا كان الحماديون يشكلون إحدى أهم وأبرز من حكموا منطقة واسعة من المغرب الأوسط فإنهم في المقابل قد حظت دولتهم وحضارتهم باهتمام الباحثين والمؤرخين الأثريين المسلمين وحتى الأجانب المستشرقين، خصوصا ما تعلق بالجانب السياسي والعسكري، إلا أن هناك الجانب الحضاري والعلمي الذي هو الآخر قد برز فيه الحماديون سواء في القلعة وبجاية حتى صارت حاضرتان مضرب مثل وتنافس الحواضر الإسلامية الأخرى، وفي هذا السياق يأتي موضوعنا الموسوم بـ:" العلاقات الثقافية بين قلعة بني حماد وبجاية.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك مجموعة من العوامل دفعتنا لاختيار هذا الموضوع كعنوان لمذكرتنا منها عوامل موضوعية وأخرى ذاتية.

أولا: عوامل موضوعية

- إبراز مكانة القلعة وبجاية كأهم حاضرتين إسلاميتين في المغرب الأوسط والعالم الإسلامي.
- إبراز علاقة التأثر والتأثير بين الحاضرتين.
- إبراز مدى مساهمة الحاضرتين في الإنجازات الحضارية العالمية، وخصوصا ما تعلق بالعمارة.
- أن المذكرات في القسم التي تناولت الموضوع كانت قد ركزت على ثلاث جاوبن هي العسكرية، السياسية والاقتصادية، وكانت إشارات بسيطة للجانب الحضاري والعلمي، لذلك جاءت دراستنا حول هذا الموضوع.

ثانيا: عوامل ذاتية

- أن حاضرة القلعة تقع في ولايتنا وكانت لنا زيارات لمعالمها الأثرية وهو ما ولد في نفسنا الرغبة في البحث على هذا الموضوع.

إشكالية الموضوع:

تتمحور إشكالية دراستنا حول العلاقات الثقافية بين القلعة وبجاية، وذلك بالبحث عن علاقة التأثير والتأثر بين الحاضرتين كعاصمتين للدولة الحمادية، التي شكلت إحدى قوى السياسة التي تشكلت بالجزائر على مدار 150 سنة، وتندرج تحت هذه الفكرة مجموعة من الأسئلة الفرعية منها:

- ما تأثير الموقع الجغرافي والظروف التاريخية على الحركة العلمية والثقافية بالحاضرتين؟
- ما هي عوامل انتقال العاصمة من القلعة إلى بجاية؟
- ما مدى تأثير القلعة في بجاية؟ أو بمعنى آخر ما علاقة التأثير والتأثر بين الحاضرتين؟
- ما مدى مساهمة الحاضرتين في الإنتاج العلمي والثقافي العالمي؟

المناهج المتبعة في البحث:

استخدمنا في دراستنا مجموعة من المناهج طلبتها طبيعة الموضوع أو الدراسة.

- المنهج التاريخي الوصفي، وقد كان له استخدام كبير في بحثنا لأنه سمح لنا بتتبع الأحداث الكبرى للدراسة مع ترتيبها زمنيا وفق ما يخدم مباحث المذكرة.
- المنهج التحليلي، ووظفناه في تحليل الأفكار وربطها ببعضها البعض
- المنهج المقارن واستعنا به لمعرفة مختلف وجهات النظر حول القلعة وبجاية، وكذات نظرة الأجانب خصوصا المستشرقين لبعض القضايا.

خطة البحث:

للإجابة على إشكالية بحثنا وتبعا للمادة العلمية التي تمكنا من الحصول عليها، قد قسمنا موضوعنا إلى: مقدمة، مدخل وفصلين وخاتمة.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع، أسباب الاختيار، الإشكالية، المناهج وخطة البحث المعتمدة، أهم المصادر والمراجع وصعوبات البحث.

بدأنا الموضوع بمدخل على شكل فصل تمهيدي حاولنا من خلاله التعريف بالقلعة وبجاية جغرافيا وتاريخيا.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان: الحياة الثقافية والعلمية لقلعة بني حماد، واحتوى على مبحثين، الأول بعنوان: المؤسسات الثقافية، والثاني بعنوان: التأليف وأهم العلوم والعلماء.

أما الفصل الثاني فموسوم بـ: "الحياة الثقافية والعلمية ببجاية"، واندرج تحته مبحثان، الأول بعنوان: المؤسسات الثقافية، والثاني بعنوان: أهم العلوم والعلماء، وأنهينا الموضوع بخاتمة رصدنا من خلالها النتائج التي توصلنا إليها محاولين فيها الإجابة عن الإشكالية الرئيسية والأسئلة الفرعية المطروحة، وأرفقنا الموضوع بملاحق توضيحية وإضافة إلى قائمة البيبليوغرافيا وفهرس الموضوع.

أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، يأتي في مقدمتها المصادر.

مقدمة ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، تكمن أهميته في كون صاحبه واحد من علماء المغرب الأوسط الذي ساهم في ازدهار وتطور الحركة العلمية، وكتاب الدراية فيمن عرف من علماء المائة في بجاية للغبريني، الذي أفادنا كثيرا في الدراسة، فهو يعد من أهم المصنفات التي رسمت صور للمشهد الثقافي ومختلف التيارات التي عرفتها بجاية خلال القرن (7هـ/13م).

أما عن المراجع فهي كثيرة ومتنوعة، من أهمها: كتاب المؤرخ والأثري الجزائري رشيد بورويبة بعنوان: الدولة الحمادية تاريخها وحضارته، وكتاب عبد الحليم عويس بعنوان: دولة بني حماد صحفة رائعة من التاريخ الجزائري.

صعوبات البحث:

مثل كل باحث فقد واجهتنا جملة من الصعوبات يمكن حصرها فيما يلي:

- قصر المدة المخصصة لإنجاز المذكرة.
- الظروف الصحية الاستثنائية المتمثلة في كوفيد 19.
- الظروف العائلة وظروف العمل.
- كثرة المصادر والمراجع مما صعب عملية القراءة وتصنيف وترتيب هذه المعلومات وتوظيفها وفق ما يخدم الموضوع.
- وجدنا معظم الدراسات تركز على الجانب السياسي والعسكري، وبضعها الجانب الاقتصادي، في حين إشارات للجانب العلمي موزعة ومنتشرة بكتب كثيرة.

مـــدخل

لمحة جغرافية تاريخية لقلعة بني حماد وبجاية

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي لقلعة بني حماد

المبحث الثاني: الإطار التاريخي لدولة الحمادية

المبحث الثالث: أصل السكان والتسمية لقلعة بني حماد

المبحث الرابع: الموقع الجغرافي والفلكي لبجاية

المبحث الخامس: الإطار التاريخي لبجاية وعوامل الانتقال من القلعة إلى بجاية

المبحث السادس: أصل السكان والتسمية لقلعة بني حماد

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي لقلعة بني حماد

قبل الدخول في صلب الموضوع المتمثل في العلاقات الثقافية بين القلعة وبجاية، حليف بنا أن نتطرق في بداية بحثنا إلى التعريف الجغرافي والتاريخي لهاتين الحاضرتين:

1-الموقع الجغرافي:

تقع قلعة بني حماد على المنحدر الجنوبي لجبل تاقربوست[1]، وقد بنيت هذه القلعة على منحدر وعر بمحاذاة الحدود الشمالية، وهي على مسافة قريبة من المسيلة[2]، وتتميز بمزايا استراتيجية أكثرها كانت عليه عاصمة الزيريين، لأن حماد بن بلكين الصنهاجي[3] سارع في تحصينها على أن أصبحت قبلة لطلب العلم[4]، إضافة إلى ازدهارها بمباني عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها ما يسمى بدار البحر.[5]

يذكر الشريف الإدريسي (ت560هـ/1165م) القلعة بوصفه في موضعين:

الأول: «...وهي تقع في تسنيد جبل سامي العلو، صعب الارتقاء...ويسمى تاقربوست وأعلى هذا الجبل متصل بسيط من الأرض، ومنه ملكت القلعة»، أما الموضع الثاني فيقول: «...وهي متعلقة بجبل عزيم مطل عليها وأمامها من جهة الجنوب أرض سهلة

[1] – تعني باللغة البربرية السرج وحول العرب هذه التسمية إلى قربوس باللغة العربية، وهذا الجبل يحمل في التاريخ اسم كبل كيناية وسمي أيضا "حاليا" بجبل المعاضيد، للمزيد أنظر: إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشرطة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 119-120.

[2] – وهي من مدن المغرب الأوسط، يرجع تأسيسها إلى القرن 10م بالضبط 2315هـ/92م، للمزيد أنظر: بن الذيب عيسى: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة والوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 74.

[3] – ينسب حماد إلى قبيلة صنهاجة البربرية، أما تاريخ مولده فليس معروفا على وجه الدقة، حيث قيل أنه ولد قبل استقلال والده بلكين بن زيري بحكم المغرب عام 361هـ، تربى في قصور الخلافة مع أبناء خلفاء الفاطميين في إفريقيا الحاكمين لها، للمزيد أنظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص 268.

[4] – محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 92.

[5] – علاوة عمار: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 70.

متصلة الانفراج لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطلا إلا على بعد منها»[1]، أما البكري (ت487هـ/1094م) فقد عبر عن القلعة بأنها حصن أبي طويل وهي قلعة كبيرة ذات حصانة طبيعية ازدهرت بها الصناعة وتمصرت عند خراب القيروان سنة 448هـ/1056م[2]، وحسب صاحب كتاب الاستبصار يصفها بقوله: «...وهي مدنية عظيمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع جميع الخيرات، وهي في جبل عظيم»[3]، كما نعتها ياقوت الحموي (ت626هـ1228م) بقوله: «مدينة متوسطة بين أكم[4] وقران[5]، لها قلعة عظيمة على قمة جبل سمي تاقربوست».[6]

بينما ابن خلدون (ت808هـ/1405م) يذكرها في كتابه العبر على أن الجبل الذي أسست في سفحه مدينة القلعة سنة 398هـ/1007م اسم كتامة[7]، غير أن هذا الاسم هو اسم لقبيلة والأصح هو كيانه كما وردت في المصادر الجغرافية الأخرى.[8]

---

[1] – أبو عبد الله الشريف الإدريسي: المغرب العربي من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 255، 261.

[2] – أبو عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب بزمن كتبا المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 49.

[3] – مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية والعامة، العراق، ص 167.

[4] – جمع أكمة وهي كل من القف وهو حجر واحد قبل: هو الموضوع الذي هو أشد ارتفاعا مما حوله، للمزيد أنظر: ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، طبعة جديد ومنقحة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج1، ص 103.

[5] – قران: جمع قرن، وهي الأكمة رأسها وقرن الجبل أعلاه، أنظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج5، ص 367.

[6] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ج4، ص 390.

[7] – تنحدر قبائل كتامة من كتم ابن بر الذي ينحدر من مازيغ فهم أخوة مع صنهاجة الذين ينحدرون من مازيغ هم قبائل البربر بالمغرب وأشدهم قسوة وبأسا، للمزيد أنظر: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مكتبة القاهرة، مؤسسة العلمي للمطبوعات، لبنان، 1991، ج6، ص 202.

[8] – ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص 202.

أما عن حدود القلعة نجد من الناحية الغربي جبل الغريت الذي يصل ارتفاعه إلى 1190م، ومن الجهة الشرقية يحيد بها وادي فرج[1]، الذي تشكل مضائقه سوارا طبيعيا للمدينة، ومن جهة الجنوب الطريق الوحيد وهي عبارة عن ثنية ملتوية تتبع وادي فرج.[2]

ونعتقد أن قلعة بني حماد قد اشتملت على معظم مقومات الحواضر الكبرى، ولا نبالغ إن قلنا أن القلعة قد توفرت فيها كل المقومات التي تجعل منها عاصمة للدولة الحماية، التي تأتي في مقدمة هذه المقومات:

- حصانة القلعة جعلها مدينة محمية طبيعيا وهي محصنة بالجبال[3]حيث وصفها البكري قائلا: «...وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة».[4]
- بينما يصفها الإدريسي بقوله: «...وهي سند جبل سامي العلو صعب الارتقاء وقد استدار سورها بجميع الجمل ويسمى تاقربوست».[5]

تشكل جبال المعاضيد الحاجز الطبيعي الشمالي لحوض الحضنة، ونوع هذه الجبال جيرية حديثة التكوين من الزمن الجيواراسي الطباشيري، تتراوح قممها ما بين 963م و1200م على مستوى سطح البحر، وقد ساد منطقة القلعة المناخ القاري الذي يتميز بشتائه البارد وبارتفاع حرارته وجفافه صيفا.[6]

---

[1] – كان هذا الوادي يسمى في القترة الحمادية بوادي حراوة، وهو ينبع على بعد 80 كلم شمال باب الأقواس من المكان المسمى بـ"غدير سداد" من مستوى 1070م على سطح البحر في اتجاه سهل الحضنة بين جبلي الرحمة وزروقة وتقدر مساحة حوض مصبه 28.7 كلم مربع، للمزيد أنظر: عبد النور خرباش: نظام منشآت الري في قلعة بني حماد دراسة أثرية، رسال ماجستير، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008–2009، ص 19.

[2] – رشيد بورويبة: مدن مندثرة، تاجرت، سدراته، أشير، قلعة بني حماد، سلسلة فن وثقافة، الجزائر، د.ت، ص 84.

[3] – عبد القادر دحدوح: عمران قلعة بني حماد عوامل التمدن وأسباب الخراب، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني جماد أسلف من التأسيس، أيام 09–2007/11/10، جامعة المسيلة، 2007، ص 147.

[4] – البكري: المصدر السابق، ص 49.

[5] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 109.

[6] – عبد النور بن خرباش: المرجع السابق، ص 07.

أما عن الموارد المائية بالقلعة نجد هذه الأخيرة من المدن الوافرة بالمياه على اختلاف مصادرها (مياه الأمطار والثلوج الذائبة والينابيع)، ذلك أن المدينة بنيت على ضفة وادي فرج الذي يحدها من الجهة الشرقية.[1]

ينعت الإدريسي قصد دار البحر بقوله: «...وقد وضع في وسطه صهريج عظيم تلعب فيهع الزوارق يدخله ماء مجلوب على بعد...»، وهذا القصر مشرف على وادي كبير[2]، وكانت مياه هذا الوادي مستغلة في الشرب وسقي المزروعات.

وتمثل الينابيع المتفجرة في شكل عيون أهم مورد مائي استغله سكان المنطقة على مدار فصول السنة، ومن أشهر تلك العيون عين السلام التي يتغنى بها الشاعر ابن حماد بقوله: «...وهل أرى عين السلام على الصدى...فبرد من حر الضلوع النواهل».[3]

بالإضافة إلى وادي الفرج ووادي الجفين نجد عين الزرايق التي لا تقل أهميتها عن عين السلام[4]، وتعد التربة الخصبة بمنطقة القلعة من أهم العوامل الطبيعية التي ساعدت وربما أن الميرة أو الغداء يعتبر من شروط بناء المدينة وبناء العواصم، فإن حاضرة القلعة تشرف على سهول خصبة من الجهة الجنوبية ممثلة في سهول الحضنة التي كانت توفر غذاء السكان، بل توفر الفائض وهو ما عبر عنه الإدريسي في قوله: «إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت».[5]

يضاف إلى ذلك أن منطقة القلعة بطابعها جبلي قد شكلت بامتياز منطقة رعوية تزخر بثورة حيوانية كبيرة.

[1] – عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص 148.

[2] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 168.

[3] – عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص 148.

[4] – عبد النور خرباش: المرجع السابق، ص ص 19–20.

[5] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 117.

أما بساتين القلعة ورغم قلتها وانحصارها على ضفتي واد فرج، فقد أشار إليها الرحالة ياقوت الحموي في مصنفه معجم البلدان بقوله: «تحف بها رساتيق ذات غلة، وشعير مثمر كالتين والعنب في جبالها وليس بكثير».[1]

وضفوة القول فإن القلعة وبناء على ما ذكرناه فإنها تتوفر على جميع المقومات الطبيعية الأمنية والاقتصادية التي جعلت منها بحق عاصمة لهذه الدولة الحمادية، وأن حماد قد وفق في اختياره لهذه المنطقة لكي تكون نواة ومركز لحكمه الذي امتد لأكثر من خمسة عقود.[2]

المبحث الثاني: الإطار التاريخي لدولة الحمادية

يعد وفاة المنصور تولى زمام الحكم ابنه باديس[3]، الذي نعته بنصير الدولة لأن في عهده بدأت الدولة الصنهاجية تعاني من مشامل عديدة أبرزها تحدي وتحرش زناتة المعادية وكثرة ثوراتها عليها، ما دفع بباديس إلى مخالفة وصية جده المعز لدين الله لبلكين، بأن لا يولي أحد من إخوته وبنيه لأنهم أحق بالملك منه واستعان بعمه للقضاء على دولة زناتة.[4]

وفي سنة 390هـ كلفه بحرب مع زناتة، فاشترط عليه ولاية المغرب الأوسط وكل ما يفتحه، كما استدعى حماد باديس إلى القيروان فاستغلت زناتة ذهاب حماد إلى إفريقية وهجموا على المغرب الأوسط، فعاد باديس وأنفذ حماد من جديد إلى المغرب وولاه على

[1] – الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 443.

[2] – عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص 150.

[3] – باديس بن منصور بن يوسف بن بلكين بن زيري صاحب المغرب وابن ملوكها من جهة العبيدية أبو مناد الصنهاجي ولي ممالك إفريقية فلقب بنصير الدولة، للمزيد أنظر: ابن عبد الله شمس الدين الذهبي: سيد أعلام النبلاء، رتبه: حسان المنان، بين الأفكار الدولية، لبنان، ج1، 2004، ص 1186؛ أبي العباس شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمنا، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1969، ص 265.

[4] – قبائل بربرية غير مستقرة في مكان على عكس صنهاجة يسكن أغلبهم بالمغرب الأوسط ومن فروعها بنو يقون، مغراوة، جراوة، للمزيد أنظر: بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 15-16.

أشير[1] والمغرب الأوسط وكل المدن[2] التي يفتحها وأذن له ببناء عاصمة له هي القلعة (398هـ/1007م)، ومن هذا التاريخ بدأت تبرز بوادر استقلال حماد بالمغرب الأوسط على الرغم من عدم إظهاره لهذا الأمر، غير أن سماح باديس لحماد ببناء القلعة قد أشعره بضعف الدولة الزيرية وبحاجة باديس له، ولكن الحال لم يطل على الصفاء بين حماد وباديس، إذ سرعان ما تكدر هذا الصفاء بسبب الوشاة والحاقدين على حماد، فأراد باديس اختيار أبناء عمه فطلب منه التنازل عن عمله[3] بتيجس وقسنطينة، فأبى ذلك حماد وأفضى الأمر إلى حرب[4]، فخلع حماد بيعة الفاطميين وأعلن سيادة بني العباس وقتل الرافضة وأصحاب المذهب الشيعي ورجع إلى مذهب أهل السنة، حينها أعلن باديس الحرب على حماد الذي خرج لملاقاته في ثلاثين ألف فارسا وذلك آخر سنة 405هـ، فانتصر باديس وفر حماد للقلعة وتحصن بها، فضاق عليه الحصار ومات باديس فجأة، فتولى بعده ابنه المعز الذي واصل حربه على حماد، وضيق عليه الحصار فلم يجد حماد مخرجا له من الحرب سوى الاستسلام لعقد الصلح، فأرسل إليه ابنه القائد حماد بالهدايا والتحق وتصالحا سنة 408هـ/1017م[5]، فعقد له المعز الصلح ونص على استقلال حماد يعمل المسيلة وطبنة ومقرة ومرسى الدجاج[6] وسوق حمزة وزواوة.[7]

---

[1] – محمود شبيب خطاب: قادة الفتح المغرب الغربي، ط7، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، 1984، ص ص 230–231.

[2] – ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفنسال، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1973، ص 239.

[3] – عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة، القاهرة، 1991، ص 60.

[4] – مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تق، تص: محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص 231.

[5] – عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق، مر: أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 175.

[6] – بينها وبين أشير أربعة أيام، وهي مدينة أحاط بها البحر من ثلاثة نواحي وقد ضرب بها سور من الصفة الغربية إلى الضفة الشرقية، وهناك يدخل إليها، للمزيد أنظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 106.

[7] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 187.

ويمكن القول بأن الصلح الحمادي الزيري فتح المجال لميلاد نظام سياسي جديد تمثل في الدولة الحمادية المستقلة بالمغرب الأوسط.[1]

أمراء قلعة بني حماد:

1-حماد بن بلكين (405-419هـ/1015-1029م):

حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس الدولة الحمادية بقلعة بني حماد وما يليها بالمغرب الأوسط، بدأ حياته السياسية سنة 387هـ/997م، حيث ولاه باديس بن المنصور 374-406هـ صاحب إفريقية أعمال الجزائر الشرقية، وأقطعه أشير ونواحيها، وقد أظهر حماد مقدرة عظيمة في السياسة والبطولة الحربية، وطمح لإنشاء دولة مستقلة فأنشأ القلعة التي عرفت باسمه[2]، والتي ثبت أركانها بعد الصلح الذي عقده مع المعز بن باديس[3]، وقد وصفه لسان الدين بن الخطيب بقوله: «...كان حماد وحده وفريد دهره وفحل قومه، ملكا كبيرا وشجاعا ثبتا وداهية حصينا، وكان حماد حاكما على الدولة الزيرية وبعد العرب التي دارت بينهما ثبت سلطان بنو حماد»[4]، هذا بعد الاتفاق مع الزيريين وتوطيد الصلح معهم خاصة بع زواج عبد الله بن حماد بأخت المعز أم العلوز في 415هـ وتوفي 419هـ ليخلفه القائد.[5]

---

[1] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص 362.

[2] – عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص 122.

[3] – Rachid bourouiba : les homodistes , Enterprise national dutiore, 1984, p 34.

[4] – لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: محمد مختاري العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964، ص 86.

[5] – رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ من العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 204.

2-القائد بن حماد بن بلكين (419-446هـ/1028-1054م):

بعد موت حماد أجمع القوم على أن يخلفه ابنه القائد، فجلس على عرش أبيه سنة (419هـ/1028م)[1]، وهو يعتبر ثاني ملوك الدولة الحمادية بالقلعة وما يليها بالمغرب الأوسط ولى الملك بعد وفاة أبيه.[2]

يصفه ابن الخطيب: «...القائد بن حماد سديد الرأي عظيم القدر وكذلك يقول خلع القائد عبيد كما فعل ابن عمه ودعا لبني العباس إلى أن أهلك في ذي القعدة...».[3]

3-المحسن بن القائد (446-447هـ/1054-1055م):

ولي بعد وفاة أبيه القائد، وكان جبارا فظا، مكث في الملك ثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوما في ربيع الأول[4]، حيث خرج على عمه يوسف وقتل العديد من بني عمومته بعد أن عزلهم من أعمالهم، كما بعث المحسن في طلب بلكين ابن عمه محمد بن حماد وأصحابه من العرب، وأمر بقتل بكلين، ولما سمع بذلك استعد لقتاله حيث سار إليه ففر المحسن إلى القلعة، إلا أن بلكين أدركه فقتله بعد ستة أشهر من ولايته.[5]

4-بلكين بن محمد بن حماد (447-454هـ/1055-1062م):

ولي بلكين الأمر في رجب 447هـ/1055م، ويذكر ابن خلدون أنه قد كان حازما سافكا للدماء، وقد قام وزير محسن[6]، وكان بلكين أحد جبابرة الإسلام إذ وصفه ابن الخطيب بأنه: «...رجل كان لا يملأ يده إلا من لبده أسد ولا يسرح لحظة إلا في نهاب بلد مضطهد ولا يراج إلا البحر والموت يلتط ولا يكلم إلا جبن يبتسم، قد تجاوز في شدود أمنيته وقهره لرعيته والإخافة لأقرانه والاستبداد على زمانه عنا به من سلف جبابرة الأرض وسمع به من

---

[1] – محمد الطمار: المرجع السابق، ص 94.

[2] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 258.

[3] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 86.

[4] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 118.

[5] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 172.

[6] – أبي الحسن بن علي أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، ط1، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 68.

فراعنة الإجرام ونقص شهرة آثاره»[1]، كان كثير الغارة على المغرب حتى سئمه الرعية لإيفاله بها في أرض العدو[2]، وبعد فترة تآمر عليه الناصر مع طائفة من الصنهاجيين، غذ انتهزوا فرصة أن بلكين يمشي ليلا وحده حسب عادته، حتى غدر به الناصر نفسه، وقتله ليأخذ مكانه[3]، وهكذا انتهت أيام بلكين فلم ينفعه الحذر من أقاربه ولا السيطرة على أقرانه، فمثلما سفك دماء الأبرياء سفك دمه.[4]

5-الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-108م):

الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي خامس ملوك الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط، وأشهرهم وأعظم نشأة وأعلاهم شأنا، وأثبتهم قدما في الملك، ولي الحكم 454هـ[5]، وقد عرف عهده عدة تطورات على المسرح السياسي، بدايتها كانت بسوء العلاقات بينه وبين ابن عمه في المهدية سنة 457هـ[6]، وكان الناصر جريئا على سفك الدماء، شديد الغيرة على النساء، جوادا عالي الهمة، تغلب على الثوار وحافظ على الممالك الغربية وتوسع في الجهات الشرقية، واختط بجاية[7] ونسبها إليه واعتنى بالعمارة وقصده الشعراء[8]، وأول ما قام به قبل تأسيس بجاية هو القيام بأعمال جليلة في الدولة الحمادية[9]، حيث يذكر ابن خلدون: «...أنه عقد على المغرب لأخيه كباب وأنزله ملياتة، وعلى حمزة

[1] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ص 89-90.

[2] – صبرينة بوعزيز: العلاقات الثقافية لقلعة بني حماد (408-461هـ/1017-1070م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018، ص 15.

[3] – أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ص 76.

[4] – محمد الطمار: المرجع السابق، ص 103.

[5] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 228.

[6] – سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص 451.

[7] – حسن ابن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 13.

[8] – صبرينة بوعزيز: المرجع السابق، ص 16.

[9] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص ص 353-354.

لأخيه رومان، وعلى نقاوس لأخيه خزر، وكان المعز قدم سورها فاصطلحه الناصر وعقد على قسنطينة لأخيه بليار، وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله وعلى أشير لابنه يوسف، كما شهدت فترته ثورة أهل بسكرة وقتل الوزير خلف بن أبي حيدرة وتوليه أبي بكر أبي الفتوح مكانة وهجوم على بن رقان على قلعة بني حماد وخضوع ثلاث مناطق من إفريقية للناصر وهجوم الحماديين على إفريقية».[1]

وبهذا نرى أن الدولة الحمادية بلغت أوج عظمتها في عهد الناصر بن علناس إلا أن تخوفه من ثورات بني هلال وقتاله لهم، مما جعل القلعة تفقد مكانتها التي كانت عليها أياما سابقة، وبعد بناء بجاية حافظت القلعة على مظهرها كعاصمة سياسية، ولكن دورها أصبح ثانويا[2]، وهكذا أمضى الناصر حياته ينعم بانتظام مملكته ويشاهد احتلال مملكة بني عموميته بإفريقية[3] إلى أن توفي سنة 481هـ بقصر الظاهر ببجاية دفن بها، وتولى الحكم على بجاية من بعده يحي بن عبد العزيز بن منصور بن صاحب بجاية الناصر.[4]

المبحث الثالث: أصل السكان والتسمية لقلعة بني حماد

1-التسمية:

يرجع اسم الدولة الحمادية التي كانت عاصمتها قلعة بني حماد إلى مؤسسها حماد بن بلكين ابن الأمير الزيري بلكين هذا الأخير هو مؤسس الجزائر ومليانة والمدية، وتولى الإمارة بالمغرب باسم الفاطميين ابتداء من 972م، الذين دخلوا مصر واستقروا بها وبعد وفاة بلكين في المعركة التي وقعت سنة 964هـ، لم يخلفه حماد على العرش الزيري وإنما خلفه

[1] – محمد المبارك الميلي: المرجع السابق، ص 59.

[2] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية من القرن 10 إلى 12م، تاريخ إفريقيا في العهد الزياني، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1962، ص 100.

[3] – محمد مبارك الميلي: المرجع السابق، ج2، ص 243.

[4] – صبرينة بوعزيز: المرجع السابق، ص 16.

أحد إخوته المنصور[1] الذي تولى الأمر إلى سنة 996م، وكان حماد وفيا في خدمته للمنصور ثم لابنه باديس وساعده هذا الأخير في محاربته لزناتة.[2]

إلا أن حماد بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب استطاع بتكليف من ابن أخيه باديس بن المنصور (387هـ/997م) من قهره لبطون قبائل زناتة، حيث كان مؤتمر صلح الذي تم في (408هـ1017م) بمثابة تاريخ ميلاد للدولة الحمادية المستقلة في المغرب الأوسط.[3]

2-السكان:

لم يدخر حماد وبنوه من بعده جهدا في إعلاء شأن دولتهم وسلطانهم، إذ فتحت أبوابها لكل باحث عن الأمن حتى من اليهود والنصارى، فازدحمت بالسكان وقصدها أهل التجارة من أوروبا وأصحاب الصنائع والمهتمون بالعلوم والفنون، فتوسع فيها العمران وأصبحت أعظم المدن[4]، وفي هذا الصدد يورد لنا البكري القول التالي: «وهي قلعة كبيرة ذات منفعة وحصانة وتمصرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي مقصد التجار وبها تحل الرحالة من العراق والحجاز ومصر والشام، وسائر بلاد المغرب».[5]

أما ابن خلدون فيذكر في كتابه العبر: «بأنه نقل إليها حماد أهل المسيلة وحمزة[6] ونقل إليها أهل جراوة[1] من المغرب وأنزلهم بها وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة».

---

[1] – كان المنصور قبل توليه الإمارة واليا على الزاب ونائبا عن أبيه بعد وفاة أبيه أخذ البيعة من الأجناد وطاعة الخاص والعام شهدت فترة حكمه ثورة عمه أبي البهار وثورة المغراويين والأمويين إلا أنه أخمدها ولم يطل حكمه توفي سنة 386هـ، ليخلفه ابنه باديس، للمزيد أنظر: أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدالية التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1986م، ص 75.

[2] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 97.

[3] – بدوي يوسف علي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 2010، ص 117.

[4] – عبد النور بن خرباش: المرجع السابق، ص 13.

[5] – البكري: المصدر السابق، ص 49.

[6] – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 168.

ومن خلال المصادر التاريخية والجغرافية نخلص إلى أن المؤشرات السكانية لقلعة بني حماد، أنها كانت مدينة كبيرة أوسع من المدن، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وأهل القيروان بعد خرابها، كما نقل إليها الناس من سائر البلاد المجاورة من أهل المسيلة وحمزة وجراوة من المغرب الأوسط.[2]

وهكذا فإن المدينة صارت تحتض شرائح مختلفة من السكان من مختلف الأديان والمذاهب والأعراق من عرب وبربر ويهود ونصارى، عاشوا وئام تام وفي تسامح كبير.[3]

المبحث الرابع: الموقع الجغرافي والفلكي لبجاية

1-الموقع الجغرافي:

تقع بجاية شمال المغرب الأوسط بين درجتي 22 طولا و34 درجة و15 دقيقة عرضا[4]، وهي مدينة ساحلية بحرية تتوسط كل من إفريقية شرقا والمغرب غربا، بينت على جرف حجر يحيط بها البحر من ثلاث جهات فيرتسم موقعها بتقوس هليجي عرضه حوالي 28 ميل يبتدئ من الشرق عند رأس العوانة (كما قالوا) وينتهي في المغرب عند الذراع الذي ينحدر من جبل أمسيون (جبل قورايا حاليا)[5]، ويمر بمكان يدعى ملعب الذئب، وبتلال يطلق عليها اسم (سبع جبيلات) ويأخذ وجهة البحر ليترك فوقه ثلاثة رؤوس في الوسط رأس بوجاي، ورأس بوراك في الجنوب ورأس المثقوب في الشمال، وتتشكل المنطقة إلى جانب

---

[1] – مدينة بالمغرب نزلها وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبوه الحسن بن سليمان، وهو الذي دخل المغرب، للمزيد أنظر: الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 302.

[2] – رابح المغراوي: قلعة بني حماد من خلال كتب الجغرافيا التاريخية، قراءة تحليلية، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألفة سنة من التأسيس، أيام 09-2007/11/10، جامعة المسيلة، 2007، ص ص 65-66.

[3] عبد النور بن خرباش: المرجع السابق، ص 13.

[4] – ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 142.

[5] – جبل قورايا حاليا: يقع في رأس هذا الجبل، قبر لاقورايا، يقصده الكثير من الأهالي للتبرك، ويقال أن اسم قورايا مأخوذ من كلمة جور الوندالية بمعنى الجبل، للمزيد أنظر: إسماعيل العربي: دول بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 183.

التلال من منخفضات شديدة الانحدار في جملتها معتدلة الارتفاع بنيت على مشارفها المدينة.[1]

ومن جهة الغرب منها يوجد نهر على بعد ميل ينبع من جبال جرجة، كانت تمخره السفن في العهد الحمادي وعلى شاطئه نجد البساتين والمنتزهات وهو ما يسمى وادي الكبير ويصب في البحر كلما ابتعدنا عن البحر كان ماؤه أقل[2]وعن مناخه فهو معتدل صيفا وممطرا شتاءً، ومتوسط درجة الحرارة فيها 17 درجة إلى جانب خصوبة أراضيها واعتدال جوها.[3]

وتبين لنا من خلال ما تقدم للوصف الطبيعي لبجاية أنها تنفرد بمجموعة من مميزات وخصائص تشمل مختلف العناصر التضاريسية من جبال، حيث يقول حسن الوزان: «...بأنها تكاد تكون كلها مؤلفة من جبال شاهقة وتلال وسهول»، وتجمع بين الموقع البحري والجبلي وتوفر المياه بها[4]، فهي إذن بهذا الموقع الاستراتيجي تحقق الشروط الأساسية التي تبنى عليها المدن الآمنة، فجبالها المرتفعة ومنحدراتها الوعرة جعلها موقع حصين وآمن يعصب الوصول إليه بسهولة، فالعابر لا يستطيع أن يخطو خطوة دون النزول أو الصعود.[5]

وفي هذا الصدد يقول العبدري: «...ثم وصلنا إلى مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية، وهي مدينة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليها إشراف الطليعة متحصنة بها منيعة»[6]، وبالتالي فهي بعيدة عن الأخطار الناجمة من الهجمات الخارجية.

---

[1] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 183–184.

[2] – جلول صلاح: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق5–6هـ/11–12م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014، ص 23.

[3] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 186.

[4] – حسن الوزان: وصف إفريقيا، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص 50.

[5] – حسن الوزان: المصدر السابق، ص 51.

[6] – محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، د.ط، مطبعة البعث، الجزائر، د.ت، ص 23.

كما أن وقوعها على البحر جعلها ذات مكانة تجارية واقتصادية بين دول المغرب الكبير ودول ما وراء البحر، أما التنوع التضاريسي، فقد ساعد على ممارسة النشاط الزراعي، وبهذا تعد المنطقة موقع استراتيجي هام فهي تتوسط العديد من المدن أي أنها تعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، يصفها البكري بقوله: «ساحل قلعة أبي طويل وجزيرة جربة قبل مرسى بجاية».[1]

لقد كانت بجاية قطبا لكثير من البلاد في المغرب الأوسط وذلك من بجاية إلى سطيف يومان وإلى باغايا[2] ثمانية أيام، وبينها وبين بشر–عمالة بسكرة–خمسة أيام، وقالمة ثمانية مراحل وإلى تبسة ستة أيام ولطبنة[3] سبعة مراحل وإلى قسنطينة ستة أيام وبين جيجل وبجاية 50 ميلا، والمنصورية وبجاية 12 ميلا من طرق جربة في البحر 8 أميال، وإلى المتوسط 12 ميلا وأريس 12 مرحلة، أما بينها وبين جزيرة بني مزغنة[4] (الجزائر حاليا) أربعة أيام، أما بينها وبين ميلة ثلاثة أيام.[5]

ولم تقتصر أهميتها على المدن الداخلية فقط، بل شملت دولا تحيط بها من البحر ويصفها أبو الفداء: «يقابل بجاية من الأندلس طرطوشة وعرض البحر بينها ثلاث مجاري».[6]

وبهذا نجد أن موقع المدينة مرتبطة بالتطور الحضاري كما أشرنا سابقا.

---

[1] – أبي عبد الله: المصدر السابق، ص 82.

[2] – باياغا مدينة قديمة مشهورة عند جبل الأوراس، سكنها في بداية العهد الإسلامي خليط البربر والعجم، افتتحها عقبة بن نابع وخربت أثناء الغزو الهلالي، أنظر: إسماعيل العربي: الدولة الحمادية، المرجع السابق، ص 68.

[33] – طبنة: مدينة كبيرة على نهر اسمه بيطام الذي تسقى به جميع بساتينها وفحوصها، عاصمة كسيلة والتي افتتحها موسى بن نصير، اشتهرت بكثرة خيراتها، للمزيد أنظر: إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 234–235.

[4] – مزغنة مدينة قديمة بنيت في عهد زيري بن مناد سنة 349هـ قبل الاحتلال الروماني، تحمل اسم قبيلة بربرية تدعى مزغنة، وتسمية العرب لها يعود إلى وجود عدد من الجزر الصغيرة على مقربة من شاطئ المدينة ضم معظمها الآن إلى البر، أنظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 260–261.

[5] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، مج1، ص 339.

[6] – جمال الدين إسماعيل أبو الفدا: تقويم البلدان، تصرف وبنود ودوسلان، دار الطباعة السلطانية، 1840، ص 64.

كما أنها تضاهي العواصم الأخرى، بل وتفوقها في العهد الحمادي، مما جعلها محط أنظار الكثير من الرحالة الذين تعددتن أوصافهم لها ومصدر إلهام العديد من الشعراء الذين بالغوال في التغني بجمال طبيعتها ومبانيها.

ومن خلال عرضنا للقرائن نلاحظ بأن هناك مزايا عدة اختصت بها بجاية دون غيرها من المناطق التي يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أولا: الحصانة الطبيعية لجباية التي يمكن أن تكون ملجأ آمنا وموطنا ضد توسعات الأعراب الهلالية التي تتوقف عند الجبال التي يخرقها وادي المالح باتجاه الجنوب الغربي لمدينة سطيف، كما أكد على ذلك الإدريسي بقوله: «ها هنا تصل غارات العرب وضررها».[1]

ثانيا: خصوبة الموقع (أي المجال) الذي يستجيب لما اعتاد عليه الحماديون لما كانوا بالقلعة، فكما كانت القلعة في سفوح جبل عجيسة –للاحتماء–فإن الأمر كذلك بالنسبة لبجاية التي شيدت عند سفوح جبل أميسون.[2]

والحق أن بجاية أقرب المواقع الساحلية لقلعة بني حماد اعتبارا لما قاله البكري بأنها تمثل ساحل قلعة أبي الطويل[3]، لا سيما وأن الناصر لا زال في حاجة إلى عاصمته الأولى بدليل أنه ترك بها ابنه المنصور (481–498هـ/1089–1104م)، الذي لم يغادر إلا في سنة 483هـ/1085م.[4]

---

[1] – أبو عبد الله الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص 118.

[2] – بعزيق صالح: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص 56.

[3] – أبي عبد الله البكري: المغرب في ذكر...، المصدر السابق، ج2، ص 82.

[4] – ابن خلدون: العبر...، المصدر السابق، ج6، ص 206.

ثالثا: إن اختطاط في وسط قبائل صنهاجة المستقرة مثل قبيلة بجاية وبني سد وبكش[1]، وكتامة، وزواوة يمكن الاطمئنان إليها من الناحية السياسية بتطويعها مستقبلا لسلطة الدولة.[2]

المبحث الخامس: الإطار التاريخي لبجاية وعوامل الانتقال من القلعة إلى بجاية

1-الإطار التاريخي لبجاية (المجال السياسي):

تعد بجاية مدينة أزلية معمورة منذ أقدم العصور التي تعود إلى عهد القرطاجيين والفينيقيين الذين أقاموا فيها قواعد تجارية على شواطئها، أخذت اسم صلداي في العهد الفينيقي فأصبحت ضمن المستعمرات الرومانية التي تتمتع بالرخاء الاقتصادي والتجاري، إلا أن سكان المنطقة ضاقوا من التواجد الروماني فقاموا بثورات وتلاها بعد ذلك الزحف الوندالي في القرن الخامس قبل الميلاد، وعرفت بجاية باسم جوريا -جورا بمغنى الجبل واحتلت بجاية بعدها على يد البيزنطيين الذين استمر حكمهم أكثر من قرن إلى أن دخلها العرب المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى للعهد الإسلامي، غير أنها لم تلحظ قوة وتطور، ودام هذا إلى غاية الفترة الحمادية، خاصة بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الحمادية بعد القلعة في 460هـ/1067م[3] حيث احتل النصر بن علناس الحمادي رابع ملوك بني حماد جبل بجاية، واختط المدينة فيها والتي سمها باسمه "الناصرية"، وأن هذه التسمية لم تدم طويلا إلى أن عادت كالسابق، لكون و"بجاية" تسمية تمثل قبيلة يقطنها البربر المحليين وهي تنطق بين الجيم والكاف بقايت.[4]

---

[1] – موطنهم كتامة ما بين قسنطينة وبجاية وهم بطون كثيرة مثل سيلين، طرطوس وطرغيان ومولية وكياوة، وبني مروان وبني زغلان وبني لمائي، والبؤرة والأكسن، وسكران وبني عباد وفيهم لماية ومكلاتة وريغة وكانت الرياسة فيهم لأولاد علاوة، من سواق وهم من القبائل الغارمة، يسكنون الخيام وهم كثيرو الانتجاع، للمزيد أنظر: ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 176.

[2] – بعزيق صالح: المرجع السابق، ص 56.

[3] – أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 5.

[4] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 206.

لم يكن تأسيس بجاية مجرد صدفة، وإنما جاء لظروف اختلف حولها المؤرخين فتجمع بعض المصادر على أن سبب بنائها كان نتيجة هزيمة الناصر في معركة (سبيبة)[1] قرب القيروان سنة 475هـ/1064م، وخيانة العرب له مثل قبيلة الإثبج وعدي، وهم قبائل من العرب الهلالية، والمعركة التي كانت بين الناصر بن علناس وعمه تميم بن المعز الزيري صاحب إفريقية، وخلال المعركة اتفقت القبائل العربية التي كانت في صف الناصر الانضمام إلى تميم بن المعز، فغدرت به وهزم عسكر الناصر وفر بمجموعة صغيرة من الفرسان ليلتحق بالقلعة التي حصنها، إلا أن هذا لم يجد نفعا، فطوقت القلعة وخربت إذ وصفهم ابن خلدون: «أوحش من جوف البعير»[2]، فاضطر أهل المنطقة للهجرة ومغادرة القلعة وهذا الحدث أحزن عمه تميم، فلما عرف الناصر الخبر أرسل بوزيره لعمه الذي أرسل هو الآخر وزيره فعقد الصلح بينهم.

وحادثة عقد الصلح كانت السبب الرئيسي في اختطاط بجاية، حيث يذكر المؤرخ "ابن الأثير" والجغرافي "ياقوت الحموي" كذلك أن الحاكم الزيري صاحب إفريقية بعث إلى ابن عمه الناصر بالقلعة رسوله محمد ابن البعيع ليصطلح بينهما بعدما كانا غير متفاهمين، فمر الرسول بموضع بجاية فتأمله ثم دل الناصر عليه وأشار ببنائه بعد أن أراه المصلحة في ذلك[3]، فأمر الناصر بوضع الأساس ونزلها بمعسكره وبعدها شرع في بنائها وبهذا أصبحت بعد تمصيرها في 460هـ/1067م دار سلطان الحماديين وعاصمة المغرب الأوسط.[4]

إن استشارة "محمد البعيع" بتشييد المدينة بهذا الموضع يحتاج إلى شرح للأهمية العسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فمن الناحية العسكرية نرى أن المدينة

[1] – هي مدينة قديمة البناء تقع على الطريق بين القيروان وتبسة، تسكنها قبائل من البربر تمتاز هذه المدينة بكثرة الأنهار مثل هوارة، للمزيد أنظر: البكري: المسالك والممالك، المصدر السابق، ج2، ص 330؛ مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 161.

[2] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص 204.

[3] – ابن الأثير: الكامل...، المصدر السابق، ج7، ص ص 456-457.

[4] – ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج2، ص 339.

محصنة طبيعيا[1] بفضل مسالكها الوعرة إذ لا يوجد بها سوى منفذ واحد من جهة الغرب مما يجعلها بعيدة عن المطالب الخارجية وتحقيق أمن سكانها وهذا يتماشى مع متطلبات الحياة المستقرة.[2]

كما أن الناصر وجد تطلعاته في المنطقة، فبنى بها مرسى مأمونا وأنشأ بها أسطولا بفضل ما تتوفر عليها المنطقة من خشب وحديد إلى جانب هذا نجد أن بجاية تتوسط العديد من المدن مما جعل منها منطقة اتصال وجعلها مصدرا للتبادل التجاري برا وبحرا.[3]

أما عن سكان بجاية فهم ميالين للمسالمة ولم يعارضوا دخول الملك الحمادي إليهم أثناء بناء مدينته[4]، ومنه نلاحظ أن محمد البعبع ذكي جدا ومحبا للسلطان ملك الحمادي الناصر، كما أنه وفق في اختيار هذه المنطقة التي عادت بنتائج جد إيجابية لاستمرار قوة وتطور الدولة ووصولها لأوج ازدهارها.

أما "ابن الخطيب" فينفرد بقوله أن بناءها لا يعود إلى معركة سبيبة، وما ترتب عنها من صلح، بل لكرهه لبني حماد أتباع بلكين بن محمد حيث أنه ذكر: «...لما استقام الأمر للناصر بن علناس كره مجاورة بني حماد أكناف القلعة المنسوبة إليهم، إذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة اثنا عشر ألف فارس، فبنى قريبا منها بالجبل مدينة وقصورا مسماة بعدة أسماء...».[5]

إضافة إلى هذا، فإنه بعد معركة سبيبة استمر ملوك بني حماد في تشييد قصور القلعة مثل قصر السلام، المنار، وهذا يدل على أن العمران لم يتوقف فيها، بل إن بناء بجاية كان ضمن النشاط العادي للحماديين وميل ملوك صنهاجة لبناء مدن عدة وتعميرها

[1] – حسن الوزان: المصدر السابق، ص 101.

[2] – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 20.

[3] – رشيد بورويبة: الدولة الحمادية...، المرجع السابق، ص 68.

[4] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 206.

[5] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 64.

مثل أشير، الجزائر، القلعة...الخ، ومنه فالهدف من بناء وتأسيس بجاية هو توسيع سلطانهم.[1]

وهنا لا بد أن نشير إلى ظاهرة تعرض للمدن والدول وهي أن ميلاد بجاية كحاضرة وقاعدة سياسية كان يعني تدريجيا بداية تضاؤل أهمية القلعة في المجال السياسي، ومعنى ذلك أن بجاية استفادت من التطورات الجديدة التي صبرت منها مركزا رئيسا للسياسة وللسلطان وللنشاط المتعدد الجوانب فتصدرت الأحداث بينما انحصر نفوذ السلطة.[2]

2-الأمراء الحماديون في بجاية:

2-1-الأمير المنصور بن الناصر بن علناس (481-498هـ/1081-1105م):

هو سادس الأمراء الذين حكموا المملكة الحمادية، ودامت فترة حكمه سبعة عشر عاما هجريا، وكان له دورا هاما على مسرح الأحداث السياسية لبلاده، وكان له أسلوب واضح في التعامل مع المشكلات الداخلية والخارجية التي أحاطت بمملكته.[3]

وقد سار المنصور وفق سياسة أبيه، وقد استعمل كل الوسائل التي استعملها أبوه[4]، ويذكر ابن الأثير أن المنصور اقتفى "أثر أليه في الحزم والعزم والرئاسة"[5]، حيث بلغت الدولة الحمادية في عصره أقصى مجدها وأوجها، فقد اعتنى المنصور بالمنشآت والقصور منها قصر اللؤلؤة وقصر أميمون.[6]

وفي أيامه أصبحت بجاية من أعظم مدن المغرب وأوسعها عمرانا وأكثرها ازدهارا في مختلف الميادين[7]، وقد نجح في إعطاء الدولة الحمادية روائها وأمنها امتدادا لعهد أبيه وسط

[1] – رشيد بورويبة: الدولة الحمادية...، المرجع السابق، ص 68.

[2] – موسى لقبال: مميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة التاريخ، مجلة الأصالة، ع 19، 1974، ص ص 5-6.

[3] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 59.

[4] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 139.

[5] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 166.

[6] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص 175.

[7] – ابن الأثير: المصدر السابق، ص 621.

ظروف صعبة، وشاءت الأقدار أن ينتهي عهده بعد عودته من حربه الأخيرة ضد المرابطين بسبعة أشهر سنة 498هـ، وولي الأمير بعده ابن باديس.[1]

2-2-الأمير باديس بن المنصور (498هـ/1104م):

كان باديس شديد البأس، عظيم السطوة، سريع البطش[2]، وقد ابتدأ عهده الذي دام ثمانية أشهر بالإساءة إلى كل من حوله فقتل عبد الكريم بن سليمان الذي كان وزيرا لأبيه، وامتدت إساءته إلى أخيه العزيز الذي كان واليا على مدينة الجزائر في عهد أبيهما فعزله ونفاه إلى جيجل ويكاد يكون باديس صورة من محسن ابن القائد الأمير الحمادي الثالث في كثير من الأمور والظروف، وقدر لهما أن يتوليا أمور الدولة بعد فترة قوية من فترات الدولة ثم يكون بسلوكهما انحرافا عن خط الدولة القوية وتلحقها نهاية متقاربة.[3]

ولقد لقي حتفه العاجل قبل أن يستكمل سنة من حكمه إذ توفي في الثالث عشر من ذي الحجة 498هـ/1105م، ويقال أن أمه وضعت لم اسم لأنه كان يهدد ويتوعدها، وقد تولى الأمر بعده أخوه العزيز بن المنصور الذي كان من جملة من شملتهم إساءته، حيث استدعى من منفاه بجيجل ليقود البلاد بعد أخيه باديس.[4]

2-3-الأمير العزيز بن المنصور بن علناس (498-515هـ/1105-1121م):

هو ثامن ملوك الحماديين تسلم إمارة الدولة وهو في السابعة عشر من عمره، عادت سياسة الناصر بن علناس تقود الدولة من جديد ويكاد العزيز أن يكون مجرد امتدادا لأبيه وجده الناصر في تحديد علاقة الدولة بجارتها، ولقد كان العزيز حازما ماهرا عارفا بتسيير الدولة والمماليك[5]، وكان يلقب بالميمون لولادته ليلة ولاية أبيه.[6]

---

[1] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 146.

[2] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 97.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 147-148.

[4] – نفسه، ص 148.

[5] – عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج1، ط7، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 377.

[6] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 148.

ولقد ساعدته الظروف على إرساء دعائم الاستقرار في دولته، حيث صاهر خصمه من زناتة والمهدية، وبوفاة الزعيم المرابطي الكبير يوسف بن تاشفين وتوليه ابنه علي بن يوسف، بدأت أمور الدولة تختل، لهذا لم يعد يفكر في خلق ظروف واصطدام بجيرانه، لاسيما الحماديون، وإنما همه الوحيد الاحتفاظ بالأرض التي تحت يده وأن يحفظ لها وحدتها[1]، ومع قرب نهاية حكم العزيز بدأ الضعف يدب فيحسم الدولة الحمادية، لكن حدث كبير سوف يكون له تأثير على مجرى الأحداث في المغرب بل سوف ينهي دولة بني حماد، وذلك بظهور باعث الدولة الموحدية ابن تومرت[2]، الذي مر ببجاية بعد عودته من المشرق ورأى الفوضى بها، فأراد تغيير ذلك بأسلوبه العنيف، فلما أحس العزيز بخطر هذا المغربي أمر بالقبض عليه، لكنه ارتحل إلى المغرب[3]، وفي سنة 515هت/1121م مات العزيز بن المنصور فورث الحكم بعده ابنه يحي الذي شهد عهده فترة انهيار الدولة وبداية الاضمحلال وكان حكمه آخر أيام الدولة الحماية.[4]

2-4-الأمير يحي بن العزيز (515-547هـ/1121-1152م):

كان تاسع الأمراء وآخرهم، فقد كان مثل الأمراء الذين يرون في الحكم مجرد وسيلة لإرضاء شهواتهم والاستجابة إلى مطالبهم في الترف، ويصف ابن خلدون بأنه كان مستضعفا ومغلبا للنساء ومولعا بالصيد على حين انقراض الدولة وذهاب أيام صنهاجة.

وفي سنة 543هـ/1149م، قام يحي باستحداث السكة[5]، ولم يحد أحد من قومه أدبا مع حلفائهم العبيديين، فعوض صاحب مصر باسم الخليفة العباسي[1]، ولكن الدولة الحمادية

---

[1] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص ص 149-150.

[2] – الأمير ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية ولن بناحية السوس بالمغرب الأقصى ما بين 471-491هـ/1078-1098م، قام برحلة إلى المشرق في حوالي 500هـ ثم رجع إلى المغرب ومر ببجاية سنة 511هـ/1117م، للمزيد انظر: رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص ص 81-85.

[3] – عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 287.

[4] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 153.

[5] –نقش على الدائرة أحد الوجهين الآية: "واتقوا يوما ترجعون فيه إلا الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون" والسطور "لا إله إلا الله، يعتصم بالله يحي بن العزيز بالله"، وفي دائرة الوجه الآخر "بسم الله الرحمن الرحيم" ضرب هذا=

كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة لما أصابها من ضعف وانحلال، واختفت من مسرح الأحداث في المغرب الإسلامي عندما تمكن عبد المؤمن ابن علي أول خلفاء الموحدين من دخول العاصمة السياسية للحماديين سنة 547هـ/1152م، وأخذ أسيرا إلى مراكش بعدما طالب فترة حكمه[2]، فيشير ابن خلدون بأنه حكم اثنين وثلاثين عاما هجرية[3]، بقي فيها إلى غاية 558هـ/1162م، ومن هنا فقد عاش تحت كنف عبد المؤمن بن علي[4] إحدى عشر عاما هجرية بعد سقوط دولة بني حماد وتوسيع الموحدين[5] في المغرب واستطاعوا توحيد المغرب تحت لوائهم بعد ثماني سنوات من سقوط بجاية، وأدخلوه في طور الوحدة السياسية الكبرى في ظل حكمهم، بعد انتهاء الحكم الحمادي في القلعة وإنهاء الحكم الزيري في المهدية وطرد النورمان[6] من الساحل المغربي، وبذلك طويت صفحة الدولة الزيرية بشقيها الحمادي والباديسي.[7]

ومجمل القول كانت ظروف قيام الدولة الحمادية ظروفا جد صعبة، وذلك نتيجة الصراع الطويل الذي كان من بين مؤسس الدولة الحمادية وأبناء العم الزيريين ليستمر لبنيه من بعده، ليفكروا بعد ذلك في الصلح كأساس لقيام دولتهم وبنائها على قاعدة مستقرة نوعا ما، إذ تعد دولتهم أول دولة بربرية منفصلة عن الخلافة الفاطمية لها خصائصها التي تميزها عن سابقيها، فنظام حكمها جمع بين الوراثي والاستبدادي، وهذا حسب ظروف وطبيعة الدولة

=الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة" في السطور الإمام عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي، للمزيد أنظر: صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية، الجزائر، ص 511.

[1] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 363.

[2] – مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 618.

[3] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 363.

[4] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص ص 206–207.

[5] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 223.

[6] – النورمان أمة جرمانية قديمة كانت بالسويد والنرويج ثم هجمت على أروبا الشمالية والغربية واستطاعت أن تأخذ صقلية في القرن الخامس، وقد احتك النورمان بالمسلمين، للمزيد أنظر: عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السباق، ج1، ص 288.

[7] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المصدر السابق، ج4، ص 312.

آنذاك، كما كان للدولة عاصمتان، الأولى بالقلعة ليتم نقلها إلى بجاية وذلك نتيجة الأوضاع التي آلت إليها القلعة بصفة خاصة والدولة بصفة عامة.

2-5-عوامل الانتقال من القلعة إلى بجاية:

كان تأسيس مدينة بجاية سنة 460هـ/1067م من طرف الناصر بن أعل الناس[1]، والانتقال من القلعة إلى بجاية لم يكن بدافع ظروف طارئة حتمت على هذا الأمير البحث عن مدينة بديلة للقلعة يمكنها الصمود في وجه الأطماع الخارجية، واجتاحت المغرب المتمثلة في هجرة القبائل الهلالية[2] إلى المغرب بعدما كانت في منطقة النيل.[3]

كانت هجرة القبائل العربية إلى المغرب بتأشيرة من العبيديين في مصر والتي كانت من قبل ممنوعة عليهم، وجاءت هذه التأشيرة كرد فعل العبيديين على المعز ابن باديس الذي قام بخلع طاعتهم وقتل أشياعهم وحرق صحيفة بنودهم وإعلانه طاعة آل العباس ومذهبهم السني، كما اتبعه في ذلك معظم البلاد الغربية.[4]

وعاثت القبائل الهلالية في المغرب خلالها نهبا وسلبا وفسادا كبيرا، كما قامت بالضغط على بني زيري في القيروان ومحاربتهم حتى أرغمتهم على ترك القيروان فلجأ باتجاه

---

[1] – هو الناصر بن علناس بن محمد بن حماد مؤسس الأسرة، كان من أشهر ملوك هذه الدولة وأعظمهم شأنا ويعتبر خامس أمراء الدولة الحمادية الذين حكموا البلاد، وطالت فترة حكمه حتى بلغت سبعة وعشرين عاما، أي في الفترة الممتدة ما بين (454-481هـ/1062-108م) وكانت وفاته في سنة 481هـ وخلفه ابنه المنصور، للمزيد أنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 371؛ الغنيمي عبد الفتاح: المرجع السابق، ص 286.

[2] – تعود بطون بني هلال إلى قبيلة مضر والتي كانت موطنهم بنجد، نزلوا بمصر بعد تغلب الشيعة الفاطميين عليهم وعلى الشام، من بطونهم: جشم، زغبة، رياح، ربيعة، عدي وقد غلب هذا المصطلح المنسوب إلى بني هلال رغم تعدد القبائل المشاركة فيه على النحو المذكور سابقا، وتعود شهرة هذا الاسم إلى أول من دخل من هذه القبائل إلى إفريقية والمغرب بني هلال إلى جانب سهولة هذا الاسم، للمزيد أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص ص 18-19؛ كحالة عمر رضا: معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ط5، ج5، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985، ص ص 543-546.

[3]- Dominique Valérian, Bougie port maghrébine, 1067-1510, école française de Rome, 2006, p 43.

[4] – ابن أبي دينار: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286، ص 81.

مدينة المهدية[1]، فهي أقل خطورة من القيروان، ولم يتأخر الهلاليين في التوسع باتجاه الغرب حتى وصلوا إقليم الحماديين، وفي ذلك الوقت انهزم الأمير الناصر على يد العرب الهلاليين في سبيبة[2]، سنة (457هـ/1064م)، واتجه إلى القلعة محتميا بها وما كان على الناصر إلا إيجاد حلا سريعا يمكنه من إيقاف فتنة الهلاليين ولا سبيل في ذلك من ترك القلعة والهجرة إلى مكان بعيد، يؤمنه شر هؤلاء وجاءت مرحلة تأسيس مدينة بجاية كحد فاصل لهذه الظروف.[3]

وحسب ابن الأثير، فإن تأسيس بجاية، يرتبط بقصة الصلح بين الناصر بن علناس وتميم بن المعز الأمير الزيري، بعد موقعة سبيبة، فإن الناصر ندم في تورطه في الحرب ضد بني عمومته، ومال إلى الصلح معهم وقبل تميم بن المعز عرض الصلح، وأرسل أحد رجاله إلى الأمير الناصر، ومع شروط الصلح، وحسب ابن الأثير، فإن هذا الرسول هو "محمد بن البعبع.[4]

وأثناء رحلة هذا الأخير إلى القلعة، مر بمدينة بجاية والتي كانت فيها بيوت من البربر، فتأملها حق التأمل، ثم قام بتصميم لها كمدينة جديدة ستبنى هناك، حيث صمم جدرانها ومباينها ونقل هذا التصميم إلى الناصر، وقام بتحفيز وتشجيعه على خلع كل فكرة إصلاح أو اتحاد مع الأمير تميم، وتشجيعه على خدعه، حيث حدثه عن المصلحة التي يجنيها من بجاية من خلال إنشاء قاعدة صناعية بها، وكذلك قهر العدو والاقتراب من

[1] – مدينة محدثة بساحل إفريقية، بناها عبد الله الشيعي الخارج عن بني الأغلب وهو سماها المهدية نسبها إلى نفسه، وكان ابتداء بنايها سنة 300هـ، للمزيد أنظر: الحميري: المصدر السابق، ج1، ص 561.

[2] – مدينة بإفريقية (تونس) وهي مدينة ذات أنهار وثمار، وفيها مزروعات كثيرة، وقرى عامرة، يسكنها قبائل البربر والعرب وقامت فيها حرب كبيرة سنة 457هـ، انتهز خلالها الناصر بن علناس، أمام أبناء عمومته (بنو زيري) أصحاب القيروان، نتيجة خيانة القبائل العربية له، للمزيد أنظر: الحميري: المصدر السابق، ج1، ص304؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص ص 372-373.

[3] – Dominique Valérian, op.cit, pp 43-44.

[4] – الحميري: المصدر السابق، ج1، ص 81.

إفريقية، فاقتنع الناصر بنصيحة البعبع وذلك بعد انتقالها إلى بجاية، وقدم له التصميم بكل تفاصيله، وفي الحين شرع في بناء مدينة بجاية وسماها باسمه "الناصرية".[1]

ومن خلال هذه الآراء يمكن القول أن الاضطرابات السياقية بين الطرفين (الحمادي والزيري)، وظهور القبائل الهلالية في المغرب عرقلت مكافحة هذا العدو، ومنه تأسيس مدين بجاية مقيدة بالسياسة العامة للمغرب الوسط، والمغرب الشرقي في القرن الحادي عشر ميلادي.[2]

وبهذا تكونت بجاية ثاني عاصمة لهذه الدولة الحمادية بعد القلعة، وأول عاصمة على الشريط الساحلي، وصاحبة القرارات السياسية في المغرب الأوسط، حيث استطاعت أن تفرض نفسها في الحوض المتوسط، نظرا لموقعها الاستراتيجي المطل على البحر والمحمية طبيعيا بالجبال.

المبحث السادس: أصل السكان والتسمية لقلعة بني حماد

1-التسمية:

عرفت مدينة بجاية بأسماء عديدة نظرا للفترات والمراحل التي مرت بها هاته المدينة العريقة منها صلدة أو صلدايا وبغاية أو بغاييث، بوجي[3]، وصلداي عبارة عن اسم لمدينة أسسها من قبل الفينيقيون[4] الذين اشتهروا بالملاحة فكانوا بحارة مهرة في ركوب البحر وقد عمدوا إلى تأسيس مراكز ومحطات تجارية وقد تنبهوا لموقع بجاية البحري الحصين فأنشأوا

[1] – ابن الأثير: المصدر السابق، ص 373، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، ط1، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص ص 124-125.

[2] – المصدر نفسه، ص ص 124-125؛ الحموي: المصدر السابق، مج1، ص 339؛ ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ص 374.

[3] – بوجي: كلمة فرنسية تعني الشمعة أطلقها تجار غربي حوض البحر الأبيض المتوسط على بجاية وذلك بسبب استيرادهم مادة الشمع منها، ينظر: إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 247.

[4] – الفينيقيون فرع من الكنعانيين الذين أقاموا حضارتهم في فلسطين ولبنان وجزء من سوريا ولم يذكر اسم الفينيقيين قبل الربع الأخير من الألف الثانية ق.م، ولهذا يمكنا أن نجعل الفترة بداية لتاريخهم، ينظر: محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري نذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص 37.

بها مرفأ لهم ومدينة فينيقية عرفت باسم (sldae) ومنذ ذلك الوقت غدت مدينة صلداي حلقة وصل بين شرقي البحر المتوسط وغربه ونقطة لتبادل السلع والبضائع التجارية.

حيث كانت صلداي التي عرفت نشاطا تجاريا مهما تتمتع بالكثير من الرخاء ولم تلبث أن أصبحت مركزا فينيقيا، والمدينة تحتفظ حتى الآن ببعض الآثار، ويقال أنها كانت موجودة قبل العصر القرطاجي وأن الفنيقين قد عرفوها حين قدومهم إلى هذه البلاد منذ أكثر من عشرة قرون قبل ميلاد المسيح وازدهرت في العصر الروماني وكثير من الجغرافيين يعتبرونها تابعة لأراضي نوميديا.[1]

2-العناصر السكانية:

يتكون المجتمع البجاوي من عناصر عديدة أساسية هي العنصر البربري من السكان الأصليين والعنصر العربي والجاليات المهاجرة، بالإضافة إلى الجاليات المسيحية واليهودية.

2-1-القبائل البربرية:

من أشهر القبائل التي سكنت بجاية قبيلة صنهاجة وتعتبر الطبقة الحاكمة في الدولة الحمادية[2]، كما وجدت قبيلة بربرية أثناء بناء بجاية وهي فرع من صنهاجة وتسمى بقايت إلا أن الكاف بلغتهم ليستن الكاف بل هي بين الجيم والكاف.[3]

كما نجد فرع أحد من صنهاجة المتمثل في بني ورياكل القاطنين في وادي بجاية، منطقة ملالة، وهي القبيلة التي فر إليها المهدي بن تومرت من بجاية 515هـ/1117م، وصنهاجة تجاور كتامة من جهة وزناتة من جهة أخرى، فيمتد موطنها من المسيلة وحمزة – البويرة حاليا–وجزائر بني مزغنة، المدين وملیانة، ويعتبر موطنها من أخصب الأراضي – سهل متيجة–إذ يقول ابن خلدون عنها وكان موطنها بالمسيلة إلى حمزة الجزائر المدية

[1] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 186.

[2] – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 19.

[3] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 206.

ومليانة[1] وسكان صنهاجة الشمال يعيشون مثل جيرانهم صنهاجة الجنوب التي تعتمد على الزراعة، الرعي والاستقرار، وكانوا يستعلمون البغال للشغل.[2]

ومن أشهر القبائل البربرية التي كانت في الأراضي البجائية قبيلة كتامة فيذكرها البكري في قوله: أن قسنطينة تسكنها قبائل كثيرة من أهل ميلة ونفزاوة وقسنطينة، وهي من كتامة، كما تتواجد في مرسى الدجاج، ومرسى بونة وهي شيعية يتصف سكانها بالكرم.[3]

أما الإدريسي فقد حدد موطن كتابة تحديدا أوسع قال أنها تمتد من بجاية غربا إلى أن تتجاوز كل من القل وبونة شرقا.[4]

كما يقول ابن خلدون عنها: «وهذه القبيلة من قبائل البربر بالمغرب وأشهرهم بأسا وهم من ولد كتام من برنس، وكتامة اليوم متشيعين في المغرب ومتشتتين في نواحيه إلا أن أكثر جمهورهم في أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جنوب الأوراس من ناحية القبيلة، ويتركزون في إيكجان وسطيف وبأغلبية في ميلة وقسنطينة والقل وجيجل ومن حدود الأوراس إلى البحر بين بجاية وبونة».[5]

ومن القبائل والبطون الكتامية المستقرة في ناحية بنو سدويكش فيقول ابن خلدون: «أن هذا الحي لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون بسدويكش وديارهم في مواطن كتامة ما بين قسنطينة وبجاية في البسائط منها ولهم بطون كثيرة مثل سلين طرسون وطرغيان»[6]، وانحصر وجود قبيلة زواوة في العصر الوسيط بين بجاية شرقا ودلس غربا وعجيسة[7] جنوبا

---

[1] – المصدر نفسه، ص 209.

[2] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 38-39.

[3] – البكري: المصدر السابق، ص ص 63-65.

[4] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 70.

[5] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 149.

[6] –نفسه، ص ص 174-176.

[7] – عجيسة ولد عجيسة من البرانس ومدلول هذا الاسم البطن لأن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة، فلما غربت قلبت الدال جيما مخففة، وكان تواجدهم بجوار صنهاجة، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 171.

وهي في الواقع ليست قبيلة واحدة بل مجموعة قبائل وسميت كذلك لتقابل الأنساب فيها[1]، ومن هنا يتضح لنا أن موقعها –موطنها– يشمل جزء كبير من الشرق الجزائري في المناطق الجبلية الوعرة خاصة مثل جبال خراطة، وبابور، وبهذا يصعب الوصول إليها بسهولة.

ويبدو أن اهتمام الحماديين بمنطقة زواوة لم يبدأ في عهد الناصر بن علناس، قد تمكن هذا الأخير من إخضاع مدينة مرسى الدجاج التي كانت تسكنها فروع من قبائل زواوة وألحقها بدولته وعين عليها ابنه عبد الله حاكما عليها.

وبعد الانتقال إلى بجاية سنة 561هـ/1070م واتخذها قاعدة لحكمه بادر إلى إسقاط الخراج عل أهلها، رغبة منه في استقطاب القبائل المحيطة بباديتها لتعزيز نفوذه وتقوية سلطانه بسلفه حماد (408–419هـ/1017–1028م)، وقد أثمرت هذه السياسة بنزوح بعض الأسر من قبائل زواوة من بني غبرين وبني عيسى ومشذالة.[2]

3–القبائل العربية:

تشتمل على العرب الذين توافدوا إليها قبل قيام الدولة الحمادية، وهم العرب الفاتحون الذين مضى عنهم حوالي ثلاثة وأربعة قرون لاستقرارهم هناك، ومنهم قريس بتهودة وقيسيون بطولقة، وبنو جرف الذين يعود أصلهم إلى قرى بينطيوس وعساكر الجند بميلة[3] لكن في منتصف القرن الخامس هجري طردت صنهاجة من قبل العرب الهلاليين إلى الشمال، فبنوا بجاية وجعلوها عاصمة الدولة الحمادية، وبهذا نجد أن بناء بجاية العاصمة الثانية كان بفضل الهلاليين العرب[4]، إلا أن هؤلاء كانوا متحالفين مع الناصر بن علناس كقبيلة زغبة

[1] – مفتاح خلفات: قبيلة زواوة ما بين القرنين 6–9هـ/12/15م، دراسة (سياسية، عمرانية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف الدكتور: عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008–2009، ص ص 24–25.

[2] – مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6–9هـ/12–15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 85 وما بعدها.

[3] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 160.

[4] – بنو هلال فروع أصلية، تميك، عبد المناف، ربيعة ومن أبي ربيعة، تجد الأشيح ورياح وزغبة وهي القبائل التي استوطنت القبائل الحمادية، عد إلى "الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي"، عبد الحميد يونس.

والأثبج قد أداروا له الظهر فغادروه في موقعة السبيبة مما دفع الناصر وحلفاءه منعهم من دخول بجاية التي كانت ذا صحن طبيعي لا يبلغها البدو بسهولة إليها[1]، إلا أن هذا لم يمنع القبائل العربية من سيطرتها على البوادي والمدن في القلعة وأخذت التلال والبسائط عنوة.

ونعتقد أن أبرز معالم التحول الذي عرفته الغرب الأوسط بعد الهجرة الهلالية خلال القرن 5هـ/11م هو الاختلال الحاصل في عملية التوازن الديمغرافي بين الداخل والساحل من جهة، وبين المدينة والبادية من جهة أخرى، لذا لم يعد من الممكن أن يستمر وجود القلعة التي عانت من اختناق كبير نتيجة حركة التوطن الهلالي الذي شمل فضاء واسع في محيط المدين، ويضاف إلى ذلك أن الهلاليين أنفسهم لم تكن لهم القدرة على تقبل فكرة السلطة أو سيادة الدولة المركزية بحكم طابع البداوة والانتجاع التي تميزوا بها.[2]

ونستنتج من خلال عرضنا لهذه القرائن أن انتقال الناصر بن علناس إلى ساحة زواوة لاختطاط المدينة وكان من المنطلق التخلص من طرق الهيمنة الذي فرضته القبائل الهلالية حول القلعة، ويؤيد هذا ما ذكره ابن خلدون بقوله: «ولم يزل هذا دأبهم حتى هجر الناصر سكن القلعة واختط بالساحل مدينة بجاية».[3]

وكون بجاية حاضرة على الساحل جعلها نقطة استقطاب وجذب للسكان، وفي المقابل أصبحت القلعة عامل طرد للسكان، وفي هذا الصدد لخص لنا علاوة عمارة بقوله: «بعد مرحلة الازدهار واكبت استقرار النخب العلمية والمهنية والتجارية القروية بها، بدأت مدينة القلعة تفقد مكانتها السياسية لفائدة بجاية التي بنيت في إطار استراتيجي مزدوجة تتمثل في محاولة السيطرة على التجارة البحرية التي أصبحت مصدرا للربح وللتحصن من هجومات البدو الهلاليين بعد انهيار الجيش الحمادي في معركة سبيبة سنة 457هـ/1067م».

---

[1] – جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، راجع: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 1991، ص 230.

[2] – مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص ص 133-134.

[3] – نفسه، ص 134.

4-الفئة المهاجرة:

عرفت بجاية هرة واسعة من الأندلسيين والصقليين وغيرها من أقطار المغرب الأوسط، فكانت الهجرة الأندلسية مبكرة، إذ يقول البكري: «بجاية أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس».[1]

كما نجد فئة من المهاجرين من القيروان وقلعة بني حماد أثناء الغزو الهلالي وتدميرهم للعواصم القديمة، كما شهدت أيضا هجرة من جزر البليار ميورقة، منوقة، بابسة، التي يسيطر عليها الإسبان، ونلاحظ أيضا توافد الكثير من الصقليين الذين فروا من الاضطهاد المتمثل في غزوات النورمان بحثا عن الاستقرار والأمن في بلاد الإسلام، ونفس الشيء بالنسبة لجزيرة مالطة[2]، ومارس هؤلاء المهاجرين مختلف الأنشطة الحضارية والعلمية والاقتصادية، فكان من بينهم علماء الفقه والدين والشريعة، التصوف، الفلسفة، لفد أفاروا أهل بجاية واستفادوا منها ومن أشهر هؤلاء الأعلام ابن النحوي وابن حمديس ومن الطائفة الأندلسية نجد الأمير الصنهاجي وغيره ممن التحقوا ببجاية وأثروا فيها.[3]

وهذه الجاليات نقلت معها مختلف العادات والتقاليد الاجتماعية في المأكل والملبس واصطبغت معيشتهم اليومية بالصبغة الأندلسية، مثلا نرى بقاء الموسيقى الأندلسي إلى اليوم في الجزائر، وهذا دليل على مدى التأثير الأندلسي في بلاد المغرب.[4]

5-الفئة المسيحية:

إن هجرة بني حماد من القلعة إلى بجاية سببا لجلب وانتقال الجالية المسيحية إلى بجاية، فكان للجالية المسيحية كنيسة العذراء بقلعة بني حماد، كما ذكر البكري وجود مسيحيين في بونة-بلاد العنب-يحتفظون بذكرى القديس أوغسطين.[5]

---

[1] – البكري: المصدر السابق، ص 82.

[2] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص 321.

[3] – رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 215.

[4] – Saida benchkh boulanouar : L'algerie par ses archves, Édition casbah, 2015, p 135.

[5] – البكري: المصدر السابق، ص 54.

6-الطائفة اليهودية:

تجمعت جالية يهودية بالناصرية في الفترة التي كان فيها اليهود بقلعة بني حماد وهذا بعد تخريب القيروان، وكان معظمهم بالقلعة وكانوا تجارا أو أطباء أو صناعا أو خبراء بالأمور المالية، وبعد بناء بجاية انتقلوا إليها، حيث كان لهم مدرسة تلموذية في قلعة بني حماد يرأسها سليمان ديان فرماس بعد أن ترأسها إسحاق بن يعقوب الفاسي، ووجود هذه المدرسة دليل قاطع على وجود جالية يهودية كبيرة، الذين يحتاجون في قضاياهم.[1]

واختاروا الهجرة إلى بجاية أو المناطق الساحلية الأخرى للدولة الحمادية، وفي اعتقادنا أن اليهود معرفون بممارسة التجارة، ولكي ينموا تجارتهم ونظرا للموقع الاستراتيجي الذي تتميز به بجاية فقد استقروا بها وذلك لربط علاقات تجارية مع دول المشرق ومختلف بلاد المغرب وحتى مع الدول الأوروبية.

وقد قدم لنا الأستاذ كواتي معلومات هامة عن الأحياء التي يسكنون بها وعن عادتهم وتقاليدهم وطريقة معيشتهم، ولباسهم، وبين لنا أن اليهود عاشوا في الحاضرة المغربية في سلام وأمان وهذا عكس ادعائهم الباطل بخصوص الاضطهاد الديني.

[1] – مسعود كواتي: اليهود في المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990-1991، ص 106، وقد طبعت هذه الرسالة مؤخرا بدار هومه للنشر والتوزيع، نوفمبر 2000م.

الفصل الأول

الحياة الثقافية والعلمية لقلعة بني حماد

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية

المبحث الثاني: أهم العلوم المنتشرة في القلعة والعلماء

بعد استعراضنا في الفصل التمهيدي للتعريف الجغرافي والتاريخي للحاضرتين أي القلعة وبجاية، ننتقل في هذا الفصل للحديث عن الحياة العلمية والواقع الثقافي للمدينتين.

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية

دخل الإسلام إلى المغرب وانتشرت الثقافة العربية الإسلامية في حواضره مثل القيروان وطبنة وتهرت، ولقد شهدت الثقافة المغربية في المغرب الأوسط ازدهارا كبيرا، ويرجع الفضل في ذلك إلى الولاة والأمراء الذي دفعوا بها إلى الأمام منذ دخول العرب الفاتحين إليه في أواخر القرن الأول الهجري، وبدأ الاهتمام بالعلم، بحيث لم يأتي عهد الدولة الحمادية إلا وأصبحت تنافس المشرق والأندلس في جميع مسارب هذه الثقافة الفكري منها والأدبي والعلمي والفني والحضاري، ومما لاشك فيه أن طلاب العلم كانوا يدرسون على أيدي كبار العلماء الذين نبغوا في علوم متعددة، وبالحديث عن الحياة الفكرية وذلك لانعدام مصادر متخصصة في هذا المجال وإن وجدت إنما هي مصادر تراجم التي ضمت بعض علماء القلعة وإشارات حول المؤسسات التعليمية في مراجع وكتب مختلفة، ومن خلال ذلك استطعنا أن نعلم أحوال مدينة القلعة الفكرية بالمغرب الأوسط، حيث بلغت مكانة هامة في جميع العلوم بفضل جهود الحماديين في مجالات الثقافة والعلم والأدب، حيث تمثلت جهود الحماديين في:[1]

1-المساجد:

المسجد هو بيت الله يؤدي فيه المسلمون صلواتهم اليومية المفروضة والمسجد عبر التاريخ الإسلامي لم يكن مكان للعبادة فسحب، بل كان مركزا للعلم والثقافة تعقد فيه حلقات الدرس، ويتخرج منه طلاب العلم، وكل موقع يتعبد فيه فهو مسجد وقد ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».[2]

[1] – محمد الطمار: المرجع السابق، ص 190.

[2] – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري: صحيح مسلم، ط1، دار المفتي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1998م، ص 265.

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾[3]، ولقد حث الإسلام على بناء المساجد والعناية بها، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى مسجدا يذكر فيه اسمه الله له بيتا في الجنة».[4]

لقد ارتبط التعليم في العالم الإسلامي ارتباطا وثيقا بالمسجد، حيث حدد القرآن الكريم الوظيفة الأساسية للمسجد لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾.[5]

وبذلك غدت المساجد مركزا عاما للناس والعلماء ومركز استقطاب للطلاب ونشأت في أركانه حلقات التعليم للتثقيف الديني والعلمي وتدريب التلاميذ والصبيان على القراء والكتابة، وبذلك تجسدت المساجد كمؤسسة ثقافية وتعليمية في مدينة القلعة، حيث يعد التعليم من العوامل الأساسية الهامة التي تساهم في دفع علجة الحركة الفكرية نحو التقدم وترقية العلوم والآداب، حيث يذكر ابن خلدون: «وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضافة بكثرة الملكات الحاصلة للنفس».[6]

«ويضيف أن هذه الملكات جسمانية تفتقر إلى التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند أهل أفق وجيل».[7]

---

[1] – سورة التوبة، الآية 18.

[2] – سورة الحج، الآية 38.

[3] – سورة الجن، الآية 18.

[4] – رواه مسلم، ص 270، (ح 450).

[5] – سورة النور، الآية 36.

[6] – ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون (732–808هـ)، تح، تع: عبد الإسلام الشدادي، ط1، مج2، مكتبة الإسكندرية، الدر البيضاء، 1422هـ/2005م، ص 254.

[7] – المصدر نفسه، ص 350.

لقد اتضحت لنا أهمية كمركز ثقافي وحضاري من خلال بناء المساجد، وفي هذا الصدد يذكر صاحب الأعلام: «انصرف حماد إلى المغرب وهو الذي يني القلعة فاتخذها المساجد الجامعة».[1]

ويذكر ابن خلدون: «اختط حماد مدينة القلعة واستكثر فيها المساجد ودخل إليها ن الثمور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم»[2]، وعلى رأس هذه المساجد نجد المسجد الجامع الكبير الذي يعتبر أول مسجد حمادي أقيم في المغرب الأوسط منذ تأسيس القلعة، وهو أهم مرفق في المدينة، ويدل على طابعها الإسلامي ومركزها الحقيقي، حيث كان له دور تعليمي بارز في مختلف العلوم[3] ومسجد المنار الذي كان يكتسي أهمية كبيرة لكونه أصغر مسجد في العالم الإسلامي.[4]

2-بيوت العلماء:

كانت بيوت العلماء والفقهاء بمثابة دور للعلم، وكان المنزل مؤسسة تثقيفية تعليمية ذات تأثير كبير وارتبط بالتعليم أكثر من شيء آر، حيث يخصص المدرس فرفة خاصة بتدريس الطلبة وكانت سطوح المنازل أماكن مفضلة لتعلم إذ كانت تفرش الصحيرة للطلبة حيث ورد أن الفقيه أبي عبد الله محمد بن صمغان القلعي نزيل بجاية كان له مجلس دراسة يعلو سقف منزله وكان يجمع فيه خواص الطلبة والمجتهدين.[5]

3-الكتاتيب:

لقد أسس إلى جانب المسجد مراكز تعليمية ثقافية، حيث ظهرت الكتاتيب التي كانت تعني من قبيل التعليم الابتدائي وكان التعليم فيها يوم على حفظ القرآن الكريم والمبادئ

[1] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ص 85-86.

[2] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 277.

[3] – أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، طبع مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ-1906م، ص 74.

[4] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 220.

[5] – الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص 23.

العامة للفه، وقد كان الصبيان يرسلون إلى الكتاب متى بلغو سن الخامسة أو السادسة[1]، وكانوا يدرسون الشعر ويتلقون تدريجيا القراءة والكتابة ومعرفة الحساب والهندسة ونحوها والأحاديث النبوية بطريقة التكرار وراء المدارس والكتاتيب عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد تخصص لتعليم الصبيان بدل من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة حفاظا على نظافتها.[2]

ويعرفها عبد الله علي علام: «أنها أماكن المرحلة الأولى التي يتعلم فيها الصبية المسلمون الكتابة ويأخذون ذلك في حفظ القرآن الكريم ثم يتعلمون بين جدرانها أولويات علوم الدين واللغة التي تهيئهم لتقلي المعارف بالمساجد».[3]

أنشأت الكتاتيب منذ العهد الإسلامي، وكان ظهورها مع الرسالة المحمدية ويطلق على الكتاب المغرب الإسلامي بالمسيد[4]، ولقد ظهر في عهد أمراء القلعة باستعمال الشريعة وهي عبارة عن خيمة مدرسية تشبه الكتاتيب وكان يتعلم فيها الذكور والإناث، وهذا يدل على اهتمام السلطة الحمادية بنشر العلم في مدينة القلعة[5]، ويضيف ابن خلدون بخصوص دور الكتاتيب في التثقيف بقوله: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجلس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب حتى يحذق فيه»[6]، وبذلك نشطت الكتاتيب داخل القلعة وتعددت في جميع الحارات ولا عجب إن

---

[1] – الكتاتيب: اشتق اسم هذه المؤسسة من الكتيب وتعلم الكتابة، للمزيد أنظر: مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1400هـ-1984م، ص 306.

[2] – محمد بن سحنون: آداب المعلمين، تح: حسن حسني عبد الوهاب، تح: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392هـ/ 1972م، ص ص 55-56.

[3] – عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1972، ص 125.

[4] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 58.

[5] – أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1991، ص 58.

[6] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 22.

اعتبرت الكتاتيب منذ العصر القديم ملحقات للمسجد وتوابع لها ووجدت في دور الأعيان وقصور الخلفاء والولاة ومن أشهر معلمي كتاب القلعة البارزين أبو حفص الغديري.[1]

4-المكتبات[2]:

تقوم المكتبات بدور كبير في تنشيط الحياة العلمية ودفعها إلى الأمام وهي أماكن لحفظ الكتب وترتيبها لتسهيل الاطلاع عليها والبحث فيها[3]، أما فيما تعلق بالمكتبات بقلعة بني حماد فكانت هناك نوعين من المكتبات العامة والتي تجسدت بشكل جلي في مكتبة جامع المنار والتي كانت عبارة عن مكتبة مليئة بالكتب المحمولة إليها من أقطار المغرب وبلاد المشرق والأندلس، أما النوع الثاني من المكتبات فتمثل في المكتبات الخاصة[4] وهي تلك المكتبات التي أنشأت من قبل أفراد معنيين لفائدتهم، ولقد أورد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي نص فيها أبرز ترجمة لابن الرمامة دخل على الفقيه ابن النحوي يوما في منزله فوجد في بيته كتبه وجوانب البيت كلها ممدودة ألواحا مرتفعة وعليها الكتب، وبين يديه كرسي عليه أسفار جديدة التفسير قال: فقلت له ما هذه الأسفار التي بين يديك؟ فقال لي: هذا كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي ولو اقتنيته قبل هذه الكتب لم أكسب كتابا منها[5]، وقد

---

[1] – ابن سحنون محمد: آداب المعلمين، تح: حسن حسني عبد الوهاب، مر، تع: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1995، ص ص 32-33.

[2] – المكتبات: لقد اختلف مفهوم المكتبة وتطور مدلولها عبر العصور وذلك لأن المكتبات القديمة لم تكن التي يراها في العصر الحديث من حيث تعدد أنواعها ومقتنياتها وطرق تنظيمها والسوموريون سموها بيت اللوحات الكبيرة لأنها كانت مليئة بالألواح الطينية، أما الفراعنة فقد أطلقوا عليها مكان إنعاش الروح، وإذا انتقلنا عند الرومان لوجدنا كلمة مكتبات تعني المكان الذي توضع فيه الكتب وتمثل كلمة مكتبة كلمة حديثة عند الدول العربية ولم تستخدم إلا في القرن التاسع عشر حيث استخدم العرب قديما كلمة دار وخزانة للدلالة على المكتبة، للمزيد انظر: ربحي مصطفى: عليان المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 13.

[3] – خيال محمد الهادي الجواهري: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992، ص 111.

[4] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ط2، ج2، ص 341.

[5] – أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفد القسنطيني: أنس الفقير وعوز الحقير، تص: محمد الفاسي أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 108.

عرف عنه الشغف الشديد بكتب العلم والسعي لاقتنائها وكان يسمح بدخول هذه المكتبات الطلبة المهتمين للاطلاع والتثقيف.

5-الزوايا[1]:

لعبت الزوايا دورا داخل الدولة الحمادية لا سيما مدينة القلعة[2]، وكانت تؤدي دورا تعليميا مهما إلى جانب الكتاتيب والمساجد فهي مجموعة من المباني الفاخرة الكبيرة يتوسطها ضريح الشيخ المؤسس لها وهي قبة مفروشة بالرزابي مملوءة بالمخابر والمجامر والأعلام[3]، وهي في الأصل ركن البناء، وقد ظهر هذا المصطلح في بلاد المغرب مرادفا للربط وهو حبس النفس للجهاد مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4]، ولقد وجد رباط[5] معروف في مدينة بجاية وهو رباط أبي محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي والمعروف برابطة ابن يبكي بداخل بابا أميسون من اعلى سند ببجاية[6] وبها قبره رحمه الله، وقد كانت له مكتبة مقامة في الجدار

---

[1] – الزوايا: مفردها زاوية ومعناها الانعزال والخلوة وزويت بمعنى جمعت أو قريب منها، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضاموا للمزيد انظر: ابن منظور: المصدر السابق، مج14، ص ص 364-365.

[2] – الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 237.

[3] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 353.

[4] – سورة آل عمران، الآية 200.

[5] – الرباط: جمعها رباطات، أربطة وهي تعني التمركز على الثغور والإقامة على جهاد العدو في الحرب ورباط الخيل، وإعدادها ولقد عرفت منذ العهد الإسلامي وتعني المقاتل أو المرابط، أما في المغرب الإسلامي فبرزت الربط كمؤسسة دينية وحربية في أواخر القرن 2هـ/8م، وأخذت معنى الثغور، والرباط عبارة عن ثكنة تتركب في صحن والعديد من الغرف الانفرادية حوله ومن طبقات تعلو جوانبه تنتهي بجامع وصومعة تستعمل للآذان، ومراقبة السواحل، ومن الرباطات رباط سوسة أيام الدولة الأغلبية سنة 206هـ/821م، للمزيد أنظر: المراكشي: المصدر السابق، ص ص 88-89؛ ابن منظور: المصدر السابق، ج7، ص 303.

[6] – الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 222.

احتوت على العديد من النسخ الأصلية والفرعية للمؤلفات والتصانيف[1]، حيث قال عنه الغبريني: «كان من حملة أهل العلم ومن أكابر أولي النهي والفهم».[2]

المبحث الثاني: أهم العلوم المنتشرة في القلعة والعلماء

1-العلوم النقلية:

العلم في اللغة العربية نقيض الجهل وعلمت الشيء علما أي عرفته وقال ابن منظور: «علم وفقه أي علم وفقه»[3]، ويعرف عبد الرحمن ابن خلدون العلوم النقلية: «بأنها العلوم الوضعية المستندة كلها إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجدر وضعه، وتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي وأصل هذه اللوم النقلية كلها في الشرعيات من الكتاب والسنة وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة ثم يتبع ذلك علوم اللسان وهو لسان الملة وبه ينزل القرآن»[4]، وتتكون هذه العلوم من القراءات والتفسير وهما أول العلوم الإسلامية وموضوعها القرآن الكريم وعلم الحديث واستنباط الأحكام الفقهية.

أ-علوم القرآن:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس[5]وجعله نورا وهداية للناس، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾.[6]

---

[1] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 352.

[2] – الغبريني: المصدر السابق، ص 213.

[3] – ابن منظور: المصدر السابق، مج12، ص 417.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 359.

[5] – أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبر البر النمري الأندلسي: الاستذكار الجامع لمذاهب الفقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيها تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، إخراج: عبد المعطي أمين قلعجي، ط1، مج2، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص 44؛ ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مكج2، ص 361.

[6] – سورة المائدة، الآية 15.

ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على قراءة القرآن وتدبره، فقال عليه الصلاة والسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]، ولقد اهتم العلماء المسلمون بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأول في التشريع الإسلامين حيث قال الله عز وجل: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وقد اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم بالقرآن الكريم وتلاوته والعمل به.

ب-القراءات:

القراءات القرآنية من أهم علوم القرآن إذ صرف إليها العلماء كثيرا من عنايتهم وجهودهم من عصر الصحابة رضوان الله عليهم وموضوع القراءات شديد الصلة بنص القرآن الكريم لقول تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3]، وإن ظهور القراءات كان بسبب اختلاف اللهجات العربية، فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».[4]

وكان أفضل ما يتعلمه المتعلمون في العصور الأولى هو كتاب الله ومع قيام حركة الفتوحات الإسلامية كان الصحابة يقرؤون بما سمعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك تعددت أوجه القراءة فقام الخليفة الراشد عثمان بن عفان[5] بجمع القرآن الكريم في القراءات المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.[6]

ويعتبر هذا العلم من أول العلوم النقلية وذلك لاتصاله بقراءة القرآن الكريم وتعلم قراءته ويعرفه حاجي خليفة بقوله: «هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من

---

[1] – أبو عبيد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: صحيح البخار، ج6، ص 192.

[2] – سورة الحشر، الآية 21.

[3] – سورة الحجر، الآية 9.

[4] – رواه البخاري، ج6، ص 185.

[5] – عثمان بن عفان: هو عقمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويلتقي هو والنبي من عبد المناف، ويلتقي هو أبو بكر وعمر من كعب، للمزيد انظر: الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تح: ك. وسترستين، دار صادر، بيروت، 1992، ص ص 69-70.

[6] – محمد الخضري: إتمام الوفاء سيرة الخلفاء، المكتبة الثقافية، بيروت، 1982، ص ص 124-125.

حيث وجود الاختلافات المتواترة ومبادئه والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة ومبادئه صوت الله تعالى من تطرق التحريف والتغيير»[1] والقراءات موضوعها القرآن كيف يقرأ.

ويعتبر هذا العلم من أول العلوم التي اهتم بها المسلمون[2]، غير أنهم اختلفوا في عددها لكن الأرجح هو سبع قراءات[3] والقراءات جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآن فهو قارئ[4]، وهذا اللفظ يدل في اللغة العربية على الجمع والضم[5] والتلاوة تشمل القراءات على أنواع متعددة منها التجويد[6] والقراءات المأثورة والجدير بالذكر أن دخول القراءات إلى المغرب كان على يد أبو عمر الطلمنكي (ت429هت)، وألف فيها كتابه الروضة ثم تبعه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت437هـ)، أما في مدينة القلعة فقد اشتهرت قراءة أبو عمر والداني (444هـ1052م).[7]

---

[1] – مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج2، دار إحصاء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص ص 13–17.

[2] – محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ص 77.

[3] – هذه الطرق في القراءات نسبت إلى من اشتهر بروايتها وهؤلاء القراء السبعة الذين نسبت قراءتهم لأسمائهم هم: من أهل المدينة وابن كثير من مكة وابن عامر من بالشام وأبو عمر من البصرة، وحمزة والكساني من الكوفة، وقد أضيفت ثلاث قراءات منسوبة لكل من حفص وأبي جعفر ويعقوب فصارت القراءات عشرا، للمزيد أنظر: إميل بديع يعقوب، ميشل عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط1، مج1، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1987، ص 976.

[4] – أبو الفتح ناصر الدين المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، تح: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، ط1، ج2، مكتبة أسامة بن زيد، سورية، 1979، ص 163.

[5] – الجمع والضم: وهي مأخوذة من قول القار: قرأت الشيء إذا أجمعته وضممت بعضه إلى بعض، وسمي القرآن قرأنا لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض: للمزيد أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، مج1، ص 128.

[6] – التجويد: هو علم يعر فبه مخارج الحروف وكيفية مدها وتسهليها، للمزيد أنظر: سعيد إعراب: القرآن والقراءات المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 64.

[7] –أبو عمر الداني: هو أبو عمر وعثمان بن سعيد بن عثمان الداني ويقال له ابن الصير، ولد سنة 371هـ بقرطبة وهو أحد أئمة القرآن وروايته وتفسيره له ومعرفته بالحديث ومن تصنيفاته: جامع البيان في القراءات، المقنع في رسم المصاحف، للمزيد أنظر: قنفد: الوفيات، ص ص 234–235.

ولعل من أوائل المقرئين والمعتنيين بالقرآن وقراءته في القلعة الحمادية بالمغرب الأوسط والذين كرسوا حياتهم لهذا العلم المقرئ أبو عبد الله محمد القلعي المعروف بابن الخراط أحد التقاة الأثبات الصلحاء الرواة قرأ بقلعة بني حماد ولقي بها مشايخ القراءات منهم العالم أبو عمر القلعي، وأخذ عن الخطيب المقرئ النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن الرماح[1]، كان حسن التلاوة وصادق القراءة وكان إذا أجياليه سبع وعشرون فما دام العالم المقرئ القلعي يقرأ فهو يصلي ولا يركن إلى الجلوس، فإذا قرأ غيره من يعينه يجلس ولقد خطب بالجامعيين الأعظم وجامع القصبة.[2]

وأشهر من برع في علم القراءات بالقلعة أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري القلعي المتقن (ت581هـ/1185م) قرأ على يد أبيه بالقلعة الحمادية بجامعها الأعظم وكان ملازما له واستفاد منه خلق كثير وكل من أخذ عنه يصفه بالدراية والإتقان اختصر كتاب التسيير لأبي عمرو الداني اختصار بليغ وحيز يدل على عمله وجودة فهمه وقيل عنه أنه لا يستهل في الإجازة[3]، ولا يمكن منها الطلبة إلا بعد التحصيل ومن ظفر من الطلبة بإجازته فقد ظفر بالغاية القصوى ووصل إلى المرتبة العليا.[4]

ج-الفقه وأصوله:

يعرف الفقه بعلم الدراية وهو معرفة النفس ملها وما عليها وتعني كلمة الفقه في اللغة العلم بالشيء والفهم له[5] لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[6]، وعرفه ابن خلدون بقوله: «هو معرفة أحكام الله تعالى

---

[1] – الغبريني: المصدر السابق، ص 133؛ الحفناوي: المصدر السابق، ج4، ص 485.

[2] – المصدر نفسه، ص 134؛ علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 92؛ الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 74.

[3] – الإجازة: ويقصد بها الإجازة العلمية والإجازة لغة مأخوذة من جواز الماء واصطلاحا في إذن الشيخ لتلميذه برواية مؤلفاته وذلك بقوله: أجزت له أن تروي عني الكتب، للمزيد أنظر: محمد ضياء الرحمن الأعظمي: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999، ص 109.

[4] – الحفناوي: المصدر السابق، ج4، ص ص 423-424.

[5] – محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص 91.

[6] – سورة الإسراء، الآية 44.

من أفعال المكلفين بالوجوب والخطر والندب والكراهية والإباحة وهي مستقاة من الكتب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه»[1]، والفقه والعلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.[2]

أما علم أصول الفقه هو العلم بالقواعد التي يوصل البحث فيها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، وقال الباجقاني عن أصول الفقه: «إنه القواعد الكلية التي تعرف بها أحوال الأدلة ووجود دلالتها على الأحكام الشرعية أو هي القوانين المستنبطة من الكتب والسنة ولغة العرب التي توزن بها الأدلة التفصيلية عند استنباط الأحكام الفرعية من مداركها الشرعية وهي الكتاب والسنة وإجماع أهل المدينة والاستصحاب والقياس والمصلحة المرسلة والاستحسان والعرف وسد الذرائع»[3]، وأصول الفقه هو أعظم العلوم الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف.[4]

يعد الفقه الإطار التفصيلي للسياسة الشرعية الإسلامية من ثمة فإنه ليس علما مفصلا بالحلال والحرام فحسب، وإنما هو نظام للحياة الاجتماعية أي متفاعل مع الواقع، وعلم الفقه وأصوله كانا من العلوم الدينية التي لها مكانة عند سكان المغرب الإسلامي وفي هذا الصدد يذكر المقري: «وللفقه رونق ووجاهة».[5]

ومن أشهر المذاهب الفقهية مذهب الإمام مالك[6] الذي ذاع صيته في الغرب الإسلامي.[7]

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 03.

[2] – محمد علي بن محمد الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد غزو غناية، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 1999، ص 18.

[3] – علي بن حبيب ديدي: مذكرة في أصول الفقه المالكي، دار العوادي، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص 10.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج5، ص 16.

[5] – أحمد بن محمود المقري التلمساني: نفح الطيب من خصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت، 1988، ص 221.

[6] – ابن خلكان أبو العباس: المصدر السابق، ج3، ص ص 136–137، محمد عز الدين الغرياني: المذهب المالكي النشأة والموطن وأثره في الاستقرار الاجتماعي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، د.ت، ص 09.

[7] – حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 2004، ص 23.

والجدير بالذكر أن المذهب المالكي قد انتشر في إفريقية قبل مجيء الأغالبة ورحل الكثير من فقهاء المغرب إلى مصر والحجاز[1] لطلب العلم والفقه ثم عادوا إلى بلادهم متأثرين بما سمعوه.

والمذهب المالكي هو أحد المذاهب السنية الأربعة المشهورة في الفقه الإسلامي[2] وقد اختص بهذا المذهب أهل المغرب والأندلس بصفة خاصة.[3]

كان سكان المغرب الإسلامي يوجهون إلى المدينة المنورة للحج وطلب العلم والأخذ عن شيخها الإمام مالك الذي عرف بتمسكه بالسنة ومحاربة البدع وتشبته التام بآثار الصحابة والتابعين، فمالك كان عند العلماء فقيها ثبتا وورعا وهذه الصفات هي التي حببته إلى قلوب المغاربة[4]، بالإضافة إلى كونه مذهب علمي أكثر مما هو نظري وفقهه بسيط ليس فيه تعقيد لكون سكان المغرب الإسلامية بديون بطبيعتهم فكانوا أميل إلى أهل الحجاز للتشابه بينهم في البداوة[5]، ويختص المذهب المالكي لذلك بمواقفه المحافظة اتجاه الأنظمة السياسية القائمة إذ يرفض الخروج عليها رفضا باتا إلا في حالة قصوى، وهي معصية الله

---

[1] – الحجاز: هو أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية القديمة، ومعنى الحجاز الحد أو الفصل أو الفصل أو الفصل أو الحجز ولفظ الحجاز عرف قديما منذ كان سكان شبه الجزيرة العربية يعيشون أشتاتا يعمهم التفكك السياسي ولق أطلق على البقعة الممتدة من اليمن جنوبا إلى أطراف الشام شمالا، الحجاز لحجزه بين نجد وتهامة، للمزيد أنظر: عواطف محمد يوسف: نواب الرحلات المغربية الأندلسية، مكتبة الملك الوطنية، الرياض، 1996، ص 27.

[2] – المذاهب السنية المشهورة في الفقه: المذهب المالكي الذي اتبعه أهل المغرب والأندلس والمذهب الشافعي اتبعه أهل مصر والحنبلي اتبعه أهل الشام وبغداد والمذهب الحنفي الذي اتبعه أهل الهند والصين وخراسان، للمزيد أنظر: شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي: انتصار الفقير السالك كترجيح مذهب الإمام مالك، تح: محمد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص ص 79–80.

[3] – كان من الطبيعي أن ينتشر المذهب المالكي في المغرب والأندلس حيث توطت أركانه وقويت دعائمه حيث عد المذهب السائد في الفقه، للمزيد أنظر: عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، الهلال العربية للطباعة، الرباط، 1993، ص 35.

[4] – محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1932، ص ص 70–71؛ جلال الدين السيوطي: تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، تح: هشام بن محمد حيجر الحسني، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2010، ص 113.

[5] – عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني 633–962هـ/1235–1554م، مذكرة ماجستير في التاريخ، تلمسان، 2007–2008، ص 115.

حيث أن المدرسة المالكية لم تكن مذهبا فقهيا فحسب بل مذهبا سلوكيا أيضا، إذ أن تلامذة مالك سعوا إلى الاقتداء به بكل تصرفاته ونعني بذلك أساس تلاميذه المغاربة[1] لكونهم أشد اتباعا وأصح نظرا.[2]

والظاهر أن ما سمعه المغاربة من علمائهم الراحلين إلى المشرق مثل أسد بن الفرات[3] شجعهم وحمسهم في هذا المذهب، واشتد إقبالهم عليه وهذه الرغبة في الاستزادة من علم مالك دفعت سحنون[4] للرحلة إلى مصر حيث أقام بالفسطاط[5] ورجع إلى بلاد المغرب وجمع خلاصة دراساته المالكية في أول كتاب ظهر في فقه مالك وهو الموطأ[6] سماه المدونة وبذلك تغلب على مذهب أبي الحنيفة[7] وبذلك بدأ المالكية يغلبون على الحيالة الثقافية ببلاد المغرب

[1] – نجم الدين الهنتاني: المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الخامس عشر الميلادي، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004، ص ص 35–36.

[2] – محمد الداعي الأندلسي: المصدر السابق، ص 137.

[3] – أسد بن الفرات: هو أبو عبد الله مولى بني سليم من خرسان ولد سنة 145هـ/763م في حران وأصله من خرسان قاضي القيروان رحل إلى المدينة المنورة وقرأ علي مالك بن أندس ولاه زيادة الله بن إبراهيم الأغلبي الجيش الذي وجهه إلى صقلية وكانت شهرته قد ضاعت لرسوخ كعبه في الفقه وهو منصف كتاب الأسدية في فقه المالكية توفي سنة 240هـ/854م، للمزيد أنظر: ابن قنفد القسنطيني: الوفيات، تح، تع: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 165؛ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي: تاريخ حضارة الأندلس، تح: لجنة تحقيق التراث العربي، ط5، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 59.

[4] – سحنون: هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي أصله من الشام، ولد سنة 160هـ وتتلمذ على خيرة علماء القيروان مثل البهلول بن راشد للمزيد أنظر: محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص ص 69–70، ابن قنفد: المصدر السابق، ص 174؛ ابن خلكان: ج3، المصدر السابق، ص ص 180–181.

[5] – الفسطاط: اسم لمصرام بن حام بن نوح عليه السلام، سميت بفسطاط عمرو بن العاص، للمزيد أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 441؛ الحموي: المصدر السابق، ج4، ص ص 262–263.

[6] – الموطأ: قيل سمي بالموطأ لأن الإمام مالك عرضه على بضعة عشر تابعيا ويذكر ابن خلدون وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القاتل لمالك حيث أشار عليه بتأليف الموطأ: يا أبا عبد الله إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك وإني قد شغلتني الخلافة وبعدها، فضع أنت للناس كتابا ينتفعون به وطئه للناس توطئة وبذلك ألف الإمام مالك كتابه على هذا المنهج والموطأ معناه المسهل الميسر، للمزيد أنظر: الداعي الأندلسي: المصدر السابق، ص 208؛ ابن منظور: المصدر السابق، مج2، ص 195

[7] – حنيفة: هو النعمان بن ثابت الفقيه المحدث صاحب الحنفي –80–150هـ/669–767م)، ولد بالكوفة، للمزيد أنظر: ابن خلطان: المصدر السابق، ص 208؛ ابن منظور: المصدر السابق، مج2، ص 195.

كلها وفي هذا الصدد يذكر المقدسي في كتابه: «إن أهل المغرب لا يكادون يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك».[1]

ومن العلماء الذين كانت لهم إسهامات فقهية بارزة في مدينة القلعة إبراهيم حماد أبو إسحاق القلعي (القرن 6-12هـ) الفقيه المالكي[2] وأبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (ت628-1230م)[3]، والفقيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبادة القلعي[4] (ت669هـ1271م) له شهرة كبيرة درس ونشأ بالقلعة وأصبح مدرسا بجامعها الأعظم[5] حيث يذكر الغبريني: «أدركته يدرس بالجامع الأعظم وكان حافظا للمذهب المالكي حسن النظر والتوجيه وكانت له وجاهة ونباهة»[6]، ومحمد بن علي جعفر المعروف بابن الرمامة (ت669هـ-271م)[7] والفقيه أبو العباس أحمد بن محمود بن عبد الله المعافري الفقيه[8] (ت581هـ-1189م)، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن صمغان الفقيه القاضي[9] والفقه علي بن مصعوم بن أبي ذكر القلعي[10] (ت551هـ-1156م).

---

[1] – المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم طبعة ليون، دار صادر، بيروت، 1962، ص 195.

[2] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 266.

[3] – علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 93.

[4] – عمر بن عبادة القلعي: هو عبد الله بن محمد بن عمر أبو محمد فقيه مالكي من قلعة بني حماد أخذ عن أبي العباس العلياني وهو أول من بدأ قراءة الفقه عليه، للمزيد انظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 93.

[5] – علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 93.

[6] – الغبريني: المصدر السابق، ص 65.

[7] – ابن الرمامة: هو محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي من قلعة بني حماد كان حافظا للفقه ناظرا فيه بارعا في معرفة أصوله ماهرا في استنباط معانيه شافعي المذهب ألف كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب ومختصر نيل في أصول الفقه، للمزيد أنظر: المراكشي أبو عبد الله: الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، سفر 8، قسم 1، تح، تق: تع: محمد بن شريفة، منشورات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، ص ص 326-327؛ رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 251.

[8] – الغبريني: المصدر السابق، ص 316.

[9] – نفسه، ص 214.

[10] – ابن أبي ذر القلعي: من كبار فقهاء الشافعية ولد بقلعة بني حماد ونها نشأ وتعلم رحل إلى المشرق واستوطن العراق وأخذ عن جماعة من أكابر الفقهاء وانتقل إلى حرسان وتوفي بها، للمزيد أنظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 267.

د-علم الحديث:

هو علم تعرف به أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله من قول أو فعل أو تقرير أو صفة وهو مرادف للسنة، كما أنه أصل من أصول التشريع الإسلامي ومرتبته تلي مرتبة القرآن[1]، ولقد ظهر علم الحديث عندما اهتم المسلمون بنقل سيرة نبيهم محمد علية الصلاة والسلام وبين أحكام القرآن والحديث[2] قيمة كبيرة في الدين الإسلامي، ولذلك انشغل المسلمون بدراسته وتوضيح معانيه وكان الناس إذا ما صعبت عليهم فهم مسألة أو آية استعانوا بالأحاديث لتوضيحها مع التحرير والنقد والبحث وكان طلاب الحديث لا يثقون بما عندهم بل كانوا يرحلون في طلبه والتقصي عن مصدره ذلك أن القرآن الكريم لم يسن لنا طريقة الصلاة والصوم، بينها نجد أن الحديث قد فصلها يعرفه ابن خلدون: «انه معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحدثين لمعرفة الأسانيد[3] والرواة وأسمائهم وكيفية اخذ بعضهم عن بعض وأحوالهم وصفاتهم واختلاف اصطلاحاتهم فيجب على المجتهد تحقيق الطرق التي تحصل على ذلك الظن وذلك بالنظر في أساندي الحديث بمعرفة رواته بالعدالة والضبط والإتقان والبراءة من السهو والغفلة ويكون ذلك دليلا على القبول والترك ثم كيفية رواية بعضهم عن بعض بسماع الراوي من الشيخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث».[4]

ولعلماء الحديث في ذلك ألفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والشاذ والغريب[5]، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بنيهم

---

[1] – محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص ص 86-87.

[2] – اهتم علماء المغرب الأوسط بعلم الحديث ويلاحظ أن هذا العلم لم يلق اهتمام من قبل علماء إذ وقفنا على عدد قليل من علماء الحديث، وربما يرجع ذلك لاهتمامهم بالدراسات الفقهية والأصولية، للمزيد أنظر: عبد المجيد تركي: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية، تر، تع: عبد الصبور شاهين، مر: محمد عبد الحليم محمود، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص ص 98-99.

[3] – السند: عند المحدثين الطريق الموصلة متن الحديث وهو رفع الحديث إلى قائله، للمزيد أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، مج3، ص 220.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 368.

[5] – نفسه، ص 369.

وبوبوا على كل واحد منها فعلم الحديث: هو علم يصرف به أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله وهو ينقسم إلى قسمين علم الحديث رواية[1]، وعلم الحديث دراية.[2]

نشأ هذا العلم معهد النبوة ولقي اهتمام الصحابة من بعده وحمله لنا فطاحل من علماء الأمة والتابعين ومن بين المؤلفات التي كان يدرسها العلماء المسلمون كالتالي: الصحاح الست وعمدة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن إسحاق الحاوي والروضة للكبار، جامع البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت252هـ)[3] مسند مسلم بن الحجاج (ت261هـ) سن أبي داود السجستاني (ت275هـ)، جامع الترمذي لأبي عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ) جامع النسائي لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي (ت303هـ)[4] ومن أعلام هذا العلم في مدينة القلعة أبو عبد الله بن صمغان القلعي (ق7هـ/12م) حيث يذكر الغبريني: «وكان له علم بالحديث والوثيقة[5] وأكثر تخطيطاته هو التحدث».[6]

هـ-علم التصوف:

هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عما عند الصحابة والسلف من القرن الثاني

---

[1] – علم الحديث رواية: علم يبحث فيه كيفية اتصال الأحاديث بالرسول الكريم من حيث أحوال روايتها ضبطا وعدالة من حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا، للمزيد أنظر: تقي الدين ابن تيمية: علم الحديث، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص 24.

[2] – علم الحديث دراية: علم يبحث في المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المراد منها من خلال قواعد الشريعة، للمزيد انظر: مجدي وهبة كامل المهندس: المرجع السابق، ص 145.

[3] – البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة حبر الإسلام الإمام في علم الحديث ولد البخاري سنة 194هـ وفي سنة 210هـ رحل طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأنصار وهو صاحب الجامع الصحيح المعرف بالصحيح البخاري، للمزيد أنظر: ابن قنفد: الوفيات، ص ص 180-181؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص 236.

[4] – ابن قنفد: المصدر السابق، ص 181.

[5] – الوثيقة: كتاب تدل على معلومات خاصة بموضوع معين كالوثائق التاريخية، للمزيد أنظر: وهبة كامل المهندس: المرجع السابق، ص 429.

[6] – الغبريني: المصدر السابق، ص 214.

للهجرة، فلما ظهرت الفرق الإسلامية وزعم كل منها أن فيهم عباد وزهاد انفرد أهل السنة المقبلون على العبادة باسم الصوفية المتصوفة[1]، والتصوف هو اللفظ المستخدم للروحانيات في الإسلام ومن خلال دراستنا للروايات التاريخية تذكر أن كلمة تصوف مشتقة من الكلمة اليونانية NIYCIN بمعنى إغلاق العينين، فالتصوف يمكن أن يصف بأنه حب المطلق، فبذلك الحب يتميز التصوف الحقيقي عن الزهد وحب الإله يجعل المريد يتحمل كل الآلام والمصاعب.[2]

وقال القاضي شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري: «التصوف علم تعرف به أحوال تزكيه النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية»[3]، ويذكر صاحب كشف الظنون: «هو علم تعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم حيث يقول:

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا ذو فطنة بالحق معروف

وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف[4] (بحر الرجز».

أما تاريخ التصوف فيظهر في فتوى الإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري قد سئل عن أول من أسس التصوف فأجاب: «إن أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي».[5]

وظاهرة التصوف مشتركة بين الأديان والفلسفات والحضارات المختلفة والتصوف نوعان: التصوف العلمي والزهد وصاحبه لا ينقطع عن الحياة الواقعة، حيث أنه تصوف

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص ص 49–50؛ توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي: إشر: مشاري العدواني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص 153.

[2] – أناماري شيمل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، بغداد، 2000، ص ص 7–8.

[3] – جعفر عليوي موسى الخفاجي: التصوف وجدلية الصراع بين الحرية والعبودية، جامعة بابل، العراق، د.ت، ص 10.

[4] – حاجي خليفة: المصدر السابق، مج1، ص 1079.

[5] – عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، ط5، مكتبة العرفان، سورية، 1993، ص 08.

يستمد أصالته من الإسلام، والتصوف الفلسفي وهو الذي يتحدث عن وحدة الوجود والانقطاع عن الحياة العملية.

وقد مر التصوف الإسلامي بمراحل متنوعة[1]، حيث ظهر هذا العلم في مختلف الحواضر الإسلامية وعلى رأسها مدينة القلعة في النصف الأول من القرن السادس للهجرة، حيث فتح الديوان المجال أمام الفكر فكان ذلك أثره في تنمية التصوف وصارت مختلف الكتب الخاصة بالتصوف تدرس في المؤسسات التعليمية، ومن جملة تلك المصنفات نجد كتاب الإحياء[2] لأبي حامد الغزالي[3] وذلك في القرن 6هـ/12م، ومن أبرز متصوفي القلعة أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي الشيخ المتصوف الصالح العابد الزاهد، حيث يذكر الغبريني: «وصحبته كثيرا وأخذت عنه واستقدمت منه وهو أحد من أخذت طريق التصوف عنه»[4]، توفي بقلعة بني حماد وقبره هناك مزور متبرك به.[5]

والشيخ أبو عبد الله بن محمد بن أبي الفرج المازري[6] المعروف بالذي الشيخ ابن النحوي الذي كان ميالا للنظر والاجتهاد، فكان متأثرا بآراء الإمام الغزالي يبث كتبه أينما حل ولا سيما كتاب الإحياء.

---

[1] – مر التصوف بمراحل متنوع عبر حقب زمنية متعاقبة منها مرحلة الزهد التي سادت القرنين الأول والثاني للهجة والمرحلة التي اعتنى بها المتصوفة بالتحاور في حقائق الأصول وقد غلب عليها الطابع الأخلاقي وكان ذلك خلال القرنين الثالث وللهجرة للمزيد أنظر: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 51.

[2] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 46.

[3] – أبو حامد الغزالي: من العلماء المسلمين السنيين ولد سنة 450هـ/1058م، له عدة مؤلفات في الفقه والأصول وعلم الكلام على طريق الأشاعرة عرف بفهمه واستخلاصه للمسائل بطريقة بسيطة، درس بالمدرسة النظامية ببغداد ألف كتابه المشهور إحياء علوم الدين الذي لقي انتقادات من مختلف علماء عصره، وتافت الفلاسفة والمنقذ من الضلال توفي سنة 505هـ/1111م، للمزيد أنظر: ابن قنفد: الوفيات، ص ص 26–267؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص ص 353–354.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص ص 123–124.

[5] – علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 93، الغبريني: المصدر السابق، ص 124.

[6] – المازري: نسبه إلى مازر بجزيرة صقلية من أئمة المالكية في عصره، ولد سنة 453هـ/1061م، توفي بالمهدية سنة 536هـ/1142م، له عدة تصانيف منها: المعلم بفوائد كتاب مسلم، وإيضاح المحصول في الأصول، للمزيد أنظر: الغبريني: المصدر السابق، ص 188.

ولقد جاء في البستان: «أن أبا الفضل انتسخ هذا الكتاب وجعله ثلاثين جزءا، فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا وكان يقول: وردت أني لم أنظر في عمري سوى هذا الكتاب».[1]

وكان يلازم القيام والصيام والتهجد حتى أنه لا يشعر بما وله، وهذا ما أكده ابن مريم: «كان يصلي فأكثر من في داره اللغظ[2]، وارتفعت الأصوات وقال ضيف لابنه أما تشغلون خاطر الشيخ فقال إذا دخل الصلاة لم يشعر بذلك ثم أدنى السراج من عينه فلم يشعر لحضوره مع الحق وغيبته».[3]

2-العلوم اللسانية:

يطلق عليها علوم الربية ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة إذ أن الأحكام الشرعية مأخوذة من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب[4]، فلا بد على من أراد علم الشريعة معرفة العلوم المتعلقة باللسان العربي أولا وأركانها أربعة وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب[5]، ويقوم هذا العلم كما يذكره ابن خلدون ببيان الموضوعات اللغوية.[6]

لم تكن الدراسات العربية جديدة على المغرب الأوسط، فقد وجدت هذه العلوم بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وتصدرت علوم اللغة والأدب مجالات النشاط العقلي لدى دولة الحماديين[7]، وكانت هذه الدراسات مناطق رعاية لدى كل الطبقات.[1]

---

[1] – ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1907، ص 301.

[2] – اللغط: وهي الأصوات المبهمة المختلطة لا تفهم فهو الكلام الذي لا يبين، للمزيد أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج7، ص 391.

[3] – التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطوير الديباج، إش، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص 623.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 236.

[5] – إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، رياض نور الله، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1997، ص ص 335-336.

[6] – محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص 96.

[7] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 362.

أ-النحو[2] واللغة:

اشتهر هذا العلم بالقلعة على يد يوسف بن محمد بن يوسف ابن النحوي، الذي كان ميول أدبي لتضلعه في النحو والأدب واللغة، وأبي عبد الله محمد بن المعارفي الذي وصفه الغبريني بالشيخ النحوي.

ب-الأدب[3]:

إن علم اللغة والأدب بالقلعة الحمادية كثيرون وأدوا أدوارا لا يستهان بها إثرا الحضارة العربية الإسلامية بمفهومها الواسع، وقدموا مجهودات جبارة، خاصة في الميدان الأدبي استيعابا وتدريسا وتأليفا.

ومن العلماء الذين برعوا في هذا العلم ابن النحو والحسن بن رشيق ولد بالمسيلة سنة 309هـ/1000م، ويذكر ابن بسام: «بلغني أنه ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل إلى القيروان سنة 406هـ»[4]، رحل إلى القيروان أين تلقى تكوينه العلمي فأخذ عن النهشلي[5] وابن أبي سهيل الخشني.[6]

---

[1] – صالح يوسف بن قربة: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 204.

[2] – النحو: هو استنباط قوانين ملكة الكلام وفوائد تسييرها، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير هذه الحركة فاصطلحوا على تسميتها إعرابا، فصارت كلها اصطلاحات خاصة بالعرب واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو، للمزيد أنظر: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 237.

[3] – الأدب: هو الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب، للمزيد أنظر: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 248.

[4] – ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريتي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، مج2، دار الثقافة، لبنان، 1997، ص 597.

[5] – النهشلي: اسمه عبد الكريم من مواليد المسيلة في العهد الفاطمي، وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه مع العلماء، توفي سنة 405هـ/1015م، للمزيد أنظر: رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 168.

[6] – الخشني: هو أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير، ولد بالمحمدية بالمسيلة، برع في الأدب، توفي سنة 406هـ/1016م، للمزيد أنظر: المرجع نفسه، ص ص 169-170.

وكانوا من خيرة كبار العلماء والأدباء وأخذ عنهم الأمير الزيري المعز بن باديس وأصبح من شعرائه، وعندما حاصر بنو هلال القيروان انتقل إلى جزيرة صقلية التي أقام بها إضافة إلى القلعي الأصم.[1]

ج-الشعر:

هو فن العربية الأول، وأكثر الفنون انتشار في تاريخ الأدب خاصة في العصور الأولى، وذلك لسهوله حفظه وتداوله، وبعد تطور الكتابة وانتشارها واتصال العرب بغيرهم، دخلت بقية الفنون الأدبية المتمثلة في النشر[2] بأشكاله المختلفة، جنبا إلى جنب مع الشعر في تكوين تراث الأدب العربي، والشعر فن من الفنون يوجد في سائر اللغات وعند العرب، هو كلام مفصل قطعا متساوية في الوزن وكل قطعة تسمى البيت.[3]

اتسم الشعر في الدولة الحمادية، وخاصة في القلعة بالوزن والقافية واستخدام البحور الشعرية المعروفة وتميز بالاحتشام والحياء[4] وتعددت أغراضه من توسلات وابتهالات ومدح ورثاء.[5]

***شعر التوسلات والابتهالات:**

يقدم هذا النوع على الابتهال والتوسل إلى الله عز وجل لتفريج الهموم، ولقد ظهر هذا النوع من قصيدة المنفرجة التي دلت على حسن شعره وبراعته في نظم القوافي، يقول

---

[1] – الأصم: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكرياء من قلعة بني حماد، عاش في العهد الحمادي، زار مختلف البقاع الإسلامية مثل مصر وطرابلس، توفي سنة 507هـ/1114م، للمزيد أنظر: أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، أحمد بدوي، مر: طه حسين، دار العلم للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص 52.

[2] – النشر: هو كلام غير موزون وفيه سجع يفي اتفاق آخر الحرف في القطعة النثرية وهو يشبه القافية في الشعر، للمزيد أنظر: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج3، ص 172.

[3] – المصدر نفسه، ص 273.

[4] – أحمد بن محمد أبو زراق: الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص ص 148-149.

[5] – الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 289.

الناقوسي عنها: «وشهدت له هذه القصيدة بجودة الشعر وإتقانه واستعمال أساليب البلاغة فيه بلا تكلف وجودة الطبيعة».[1]

نذكر منها هذه الأبيات من بحر المتدارك على شكل تخميس:

يا من يشكو ألم الحرج ويرى عسرا قرب الفرج

***شعر المدح:**

هو تفيض الهجاء وهو حسن الثناء يقال: مدحته مدحة واحدة[2]، والمدح هو ذكر، والمدح هو ذكر الخصال والمحاسن عادة من يمدح شخص[3] على قيد الحياة، ومن أمثلة هذه الأبيات هو مدح القلعي الأصم لكرامة ابن منظور ابن الناصر بن علناس والتي جاء فيها:

وحاكيه بالماء لوى اضطرابه قوما وحسنا حين يبدو ويوبص.[4]

قضيب لجين ألمع المقل متنه وأخلصه في السك من قبل مخلص[5] (بحر متقارب).

***شعر الرثاء:**

أساسه الوفاء يقضي الشاعر بقوله أمو سلفت أو يرسل تعداد لمآثر الأهل[6]، والرثاء هو البكاء على الميت وعد مناقبه شعرا.[7]

ولقد ظهر هذا النوع بقلعة بني حماد من خلال رثاء ابن حماد الصنهاجي[8] لخراب القلعة:

---

[1] – صالح يسوف بن قربة: المرجع السابق، ص 176.

[2] – ابن منظور: المصدر السابق، مج2، ص 589.

[3] – مجدي وهبة كامل المهندس: المرجع السابق، ص 343.

[4] – يبوص: يظهر.

[5] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 267.

[6] – مجدي وهبة كامل المهندس: المرجع السابق، ص 343.

[7] – نفسه، ص 176.

[8] – الصنهاجي ت 673هـ/1274م: هو محمد بن الحسن بن علي بن ميمون أبو عبد الله التميمي، عالم بالأدب والنحو وكان بارع الخط حسن الشعر، مؤلفاته الموضح في علم النحو، حدق القانون، للمزيد أنظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 267.

أين العروسين لارسم ولا طلل فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل

وقد عفى قصر حماد فليس له رسم ولا أثر باقي ولا طلل[1] (بحر الرجز)

***شعر التذكير بالموت:**

لقد برز هذا النوع بقلعة بن حماد من خلال مجموعة من الأشعار منها أبيان لابن الطيبي[2]:

يا خالق الخلق من لاشريك له لقد جئت ضيفا لتقريب بالغفران

مولاي مالي سوى التوحيد من عمل فاختم به منعما يا خير من نام[3]

(بحر الرمل)

د-التاريخ:

عرفه ابن خلدون أنه: «فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركاب وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال وتتساوى في فهمهم العلماء والجهال، إذ هو ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى»[4]، والتاريخ هو جملة من الأحداث والأحوال التي يمر بها كائن ما وتصدق عن الفرد والمجتمع، كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية.[5]

ويعتبر هيجل التاريخ جزء من الفلسفة لأنه ليس مجرد دراسة وصفية، بل هو أقرب إلى التحليل وبيان الأسباب.[6]

---

[1] – ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 267.

[2] – الطيبي (ت561هـ/116م): شاعر من أهل المغرب الأوسط أيام الدولة الحمادية، للمزيد أنظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 206.

[3] – عبد الحميد حاجيات وآخرون: الجزائر في التاريخ منذ الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، القاهرة، 2007، ص 25.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج1، ص ص 86-87.

[5] – مجدي وهبة كامل المهندس: المرجع السابق، ص 82.

[6] – عبد الحميد صديقي: تفسير التاريخ، تر: كاظم الجوادي، ط1، دار العلم، الكويت، 1980، ص 62.

عرفت المدرسة التاريخية العربية بروز مؤرخي الدول والأمصار المعنيين بسرد أخبارها والمتحدثين عن قبائلها وأنساب أهلها وعلمائها، وقد وصلتنا أسماء بعض الأعلام الذين انشغلوا بالتاريخ في القلعة من أمثال أبي محمد القلعي، الذي كان يدرس بالجامع الأعظم[1]، والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر الصنهاجي القلعي (ت628هـ)[2] الذي اهتم بعلم التاريخ وتنقل بين عواصم المغرب الإسلامي يدرس الكتب والمؤلفات من مؤلفاته التاريخية البند المحتاجة في أخبار صنهاجة[3] الذي عرض فيه لتاريخ قبيلة صنهاجة وكان هذا الكتاب أحد المصادر للعلامة ابن خلدون في كتابه العبر واستفاد منه عدد من المستشرقين.[4]

2-العلوم العقلية:

يعرفها ابن خلدون: «بأنها العلوم الحكيمة الفلسفية وهي طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لأهل الملك كلهم في مدارها ومباحثها».[5]

حيث كانت العلوم العقلية منتشرة بقلعة بني حماد، فكانت هذه العلوم بمختلف تخصصاتها تشهد مكانة مرموقة عند الحماديين لأهميتها ودورها الفعال في تطور المجتمع ورفاهيته.

[1] – صالح بن يوسف بن قربة: المرجع السابق، ص 210.

[2] – الغبريني: المصدر السابق، ص 219.

[3] – ورت في بعض المصادر الديباجة في أخبار صنهاجة، للمزيد أنظر: المراكشي: المصدر السابق، ص 324.

[4] – أبرزهم المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال في كتابه نبذة تاريخية في أخبار البربر المطبوع سنة 1933، والمستشرق الإيطالي ميخائيل أمادي في المكتبة العربية الصقلية، للمزيد أنظر: الغبريني: المصدر السابق، ص 220.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج5، ص 224.

الرياضيات[1]:

أ-علم الحساب:

هو فرع من فروع علم العدد، وهو صناعة علمية في حساب الأعداد بالأفراد وهو الجمع أو بالتضعيف أي يضاعف عدد آحاد عدد آخر وهذا هو الضرب والتفريق أيضا يكون في الأعداد إمام بالإفراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة والقسمة.[2]

برز في القلعة عدة علماء الحساب الذين درسوا في مختلف المراكز العلمية أبرزهم علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي (ت551هـ/1156م)، ولد بالقلعة تعلم ونشأ ثم رحل إلى المشرق واستوطنن بالعراق وأخذ عن جماعة من أكابر الفقهاء عالم بالمذب بحر في الحساب.[3]

ب-علم الفرائض:

ارتبط الحساب بالفروض الدينية خاصة ما تعلق منها بالمواريث، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «وهي من صناعة الحساب إذ يدخلها جزء كبير من صحيحه وكسروه وجذوره ومعلومه ومجهوله، يترتب عليه ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها فيشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو أحكام الوراثات في الفروض وغير ذلك من مسائلها».[4]

ويعرف علم الفرائض لغة: جمع فريضة وهي في الأصل اسم مصدر وتسمى قسمة المواريث فرائض[5] معنى الواجب لقوله تعالى: ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾.[1]

---

[1] – الرياضيات: علم مجرد ذو طابع استنتاجي تبنى بالبرهان انطلاقا من عدد المسلمات واحدة من كثر أقسام المعرفة الإنسانية، للمزيد أنظر: ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 230.

[2] – العماد أبو عبد الله: خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد المرزوقي وآخرون، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1971، ص 88.

[3] – الغبريني: المصدر السابق، ص 26.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، مج5، ص 233.

[5] – عبد الله إبراهيم الخيري الفرضي: كتاب التلخيص في علم الفرائض، تح: ناصر بن فنخير الفريدي، ج1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ت، ص 39.

واصطلاحا:

فهو فقه المواريث وما يضم إلى ذلك من حسابها ومعرفة الورثة وحقوقهم من التركة[2]، يمثل علم الفرائض أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها مصالح الأمة الإسلامية، حيث لقي عناية كبيرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي خاصة بلاد المغرب، ازدهرت حواضرها بما في ذلك قلعة بني حماد ومن الذين نبغوا في هذا العلم محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي.[3]

ج-الطب والصيدلة:

هو فن وعلم ورسالة نبيلة تبحث في حفظ الصحة واستردادها لهم في حالة مرضهم ويعرفه الطبيب أبو الحسن بن علي بن سيناء (428هـ/1037م): «الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ حاصلة ويستردها».[4]

ويعتبر الطبيب والصيدلة صنعتان متلازمتين منذ العهد الإسلامي، عرفت قلعة بني حماد العديد من العلماء الذين اشتهروا بهذا العلم ومن مظاهر تطو الطب في القلعة بروز أطباء عظام منهم أبو جعفر بن علي (ت575هـ/1079م)، والمعروف عنه أنه كان خبير بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة إلى جانب حسن نظره في الاطلاع على الأمراض وعلاجها، إذ انه جمع بين الطب والصيدلة، من أهم مؤلفاته الطبية كتاب "حواش على كتاب القانون"، وكتاب "دخيرة الألباب في الباءة".

ومن أشهر أعلام الطب والصيدلة عمر بن علي الذي تعلم في القلعة ولقد عاش هذا الطبيب في عهد العزيز بن المنصور ويحي بن المنصور[5] توفي سنة 576هـ/1081م.[6]

---

[1] – سورة النساء، الآية 24.

[2] – الفرضي عبد الدين إبراهيم الخيري: كتاب التلخيص في علم الفرائض، تح: ناصر ابن فنخير الفريدي، ج1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ت، ص 40.

[3] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 268.

[4] – عبد الله عبد الرزاق مسعود السيد: الطب ورائداته المسلمات، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1985، ص 31.

[5] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 182.

[6] – محمد الطمار: المرجع السابق، ص 217.

الفصل الثاني

الحياة الثقافية والعلمية لبجاية

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية

المبحث الثاني: أهم العلوم والعلماء

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية

عرفت بجاية في العهد الحمادي درجة كبيرة من التقدم الحضاري، والعمراني والثقافي، وحلت مكانة كبيرة بين حواضر العلم في المغرب والمشرق، حيث أصبحت قبلة لكثير من علماء مصر والشام والأندلس، فاتسعت الثقافة العربية، وازدهرت الحركة العلمية حتى قيل إن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفتيا في زمن واحد.[1]

وتجلى هذا الازدهار في إنشاء عدة مؤسسات علمية ذات شهرة كبيرة، مما فتح مجالا واسعا لنهضة علمية وإبداعات فكرية، حيث انتشرت خلالها الكثير من العلوم المتنوعة نبع بها علماء أجلاء ونتج عن ذلك تراث علمي ضخم.

ومن بين هذه المؤسسات نذكر:

1-المساجد:

يعتبر المسجد من أقدم البنية التي اهتم بها المسلمون لمكانته الخاصة في الحياة التعليمية والسياسية والاجتماعية، والمسجد في أصل الكلمة موضع السجود[2]، وهو من المؤسسات التي لاقت عناية كبيرة ببجاية، حيث يذكر ابن خلدون أن المنصور بن الناصر عندما اتخذ بجاية دار ملكه قام بتشييد جامعها، نظرا للخدمة التي كان تمارس فيها إلى جانب كونه بيتا تؤدى فيه مختلف العبادات الدينية، لعب دورا هاما، ولم يكن ثمة مسجد في المدينة خال من المدرسين.[3]

وبجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي، عرفت انتشارا لهذه المؤسسة الدينية والتعليمية منذ الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري السابع ميلادي، فقد شهدت نموا للحركة المعمارية بشكل كبير خاصة في العهد الحمادي لا سيما في عهد الناصر بن علناس الذي بنى فيها حوالي 72 مسجدا.

---

[1] – صالح بن يوسف بن قربة: المرجع السابق، ص 165.

[2] – حسين علي حسين: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، د.ط، مكتبة الخانجي، 1980، ص 396.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص332.

وعن دورها التعليمي والتثقيفي، فقد كانت الدراسة في المسجد تبدأ بعد إنهاء الدراسة بالكتاب لأجل جل العلماء كانوا يتحاشون تعليم الصبيان في المساجد، ولأن الإمام مالك رضي الله عنه قال: «لا أدري ذلك يجوز لأنهم لا ينظفون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم، وقال أيضا: ولا أرى أن ينام في المسجد ولا يأكل فيبه إلا من ضرورة، ولا يجد بدا منه مثل الغريب والمسافر والمحتاج الذي لا يجد موضعا».[1]

أما مادته الأولى فقد كانت تحفيظ القرآن الكريم والحديث، ثم تدريس النحو والفقه واللغة والآداب، إلى أن أصبحت كشبه المعاهد العليا تدرس فيها مختلف العلوم الدينية، كالفقه وأصوله والحديث والقرآن الكريم وتفسيره واللغة والنحو والأدب والعلوم العقلية بمزيد من التعمق والتفصيل وبمساعدة أساتذة متخصصين[2]، وبالنسبة إلى إدارة هذه المؤسسة التعليمية كانت السلطة العليا في حاضرة بجاية والمتمثلة في الأمير والحاجب والقضاة هم المشرفون على تسييرها، حيث كانت الدولة هي التي تدفع رواتب المدرسين من العلماء وغيرهم بالمساجد الجامعة.[3]

إن المساجد ببجاية كانت على رأس معاهد التعليم ومؤسساته العلمية، فساهمت بدورها في انتشار الثقافة بها، وكانت هذه المساجد على نوعين:

النوع الأول:

وهي المساجد الجامعة التي يقوم بإنشائها والإنفاق عليها الحكام والسلاطين والأمراء والولاة كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة المجتمع، ويقوم بأمرها القاضي الذي يفوضه الأمير أو الحاكم ليشرف على تسيير شؤونها، وقد اهتم أمراء بجاية بترميمها وإصلاحها، وترجع في

[1] – يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 158.

[2] – زينب رزيوي: مؤسسات التوجيه الثقافي في المجتمع الأوسط ما بين القرنين، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة سيدي بلعباس، 2010–2011، ص 37.

[3] – روبار برانشفيك: تاريخ إفريقيات في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 للميلاد، تر: حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 378.

أغلبها إلى العهد الحمادي، حيث حرصوا على تهيئتها لتؤدي رسالتها الدينية والتعليمية، فاهتموا بإنارتها وفرشها بأزهى وأفخر الأفرشة.[1]

ولقد ساهمت المساجد الجامعة ببجاية في تطوير الحركة التعليمية، حيث تخرج مها الكثير من علماء الفكر والثقافة، فالمسجد كان المؤسسة التعليمية الأولى في بجاية، كما هو الشأن في العالم الإسلامي ككل، فقد عبر أبو عبد الله الشريف (ت771هـ/1369م) عن ذلك أثناء زيارته لبجاية في قوله: «دخلت في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها، وصرت أكتب في كل مسجد سؤالا حتى وصل أمره إلى السلطان»[2]، ومن بين هذه المساجد الجامعة نذكر:

أ-الجامع الأعظم:

لم يختلف المسجد الجامع عن سائر المساجد الجامعة ببلاد المغرب الإسلامي، والذي يعود بناؤه إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي خلال فترة حكم المنصور بن الناصر الحمادي (481-498هـ/1088-1104م)، الذي شيده بجانب قصر اللؤلؤة[3]، وسمي أيضا بالمسجد المنصوري، وكان هذا المسجد من أجمل المساجد، رائعا في هندسته يحتوي على اثنين وثلاثين سارية من الرخام الجيد[4]، وقد احتل هذا القطب مكانة عالمية بالمغرب الإسلامي، حيث عبر العبدري عن إعجابه عندما مر ببجاية في القرن (7هـ/13م) حوالس سنة 680 للهجرة بقول: «ولها جامع عجيب منفرد حسنه غريب في

[1] – محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية، في الحياة الاجتماعية والفكرية، تق: الأمين بلغيث، دار كرم الله للطباعة، الجزائر، 2011، ص 77.

[2] – حفيظة بلميهوب: الفقه المالكي في مدرسة بجاية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، مجلة الدراسات الإسلامية، ع 10، ديسمبر 2006، ص 146.

[3] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص ص 208-209.

[4] – رشيد مصطفاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، ع1، السنة الأولى، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1971، ص 84.

الجوامع المشهورة، الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها فهو غاية الفرجة والأنس ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس».[1]

-المسجد الجامع بقصبة بجاية:

شارك هو الآخر نهضة بجاية، إلا أنه هناك إشكال تاريخي حول تأسيسه، ولكن يبدو أنه كان موجودا في القرن (6هـ/12م).[2]

أما النوع الثاني فهي المساجد غير التابعة للدولة في أغلبها، حيث يثوم بإدارتها أهالي الأحياء التي تقع فيها، فهم الذين يتولون الإنفاق عليها وترتيب الأئمة للصلاة فيها، ومعظم هذه المساجد بنها ميسورو الحال وبعض الشخصيات البارزة، وبهذه المساجد يؤدون شعائرهم الدينية، ويزاول فيها أبناؤهم تعليمهم في مرحلته الأولى.[3]

ب-الكتاتيب:

تعد الكتاتيب من أقدم وأهم الوسائط الثقافية بعد المساجد والجوامع التي أسهمت في نشر العلوم والمعارف الإسلامية على وجه الخصوص، والكتاتيب جميع كتاب، وهو لفظ مشتق من التكتيب وتعليم الكتاب، وقد يقال له المكتب وهو موضع التعليم كمقصد، الجامع مكاتب.[4]

ولقد شهدت بلاد المغرب ظهور تلك الكتاتيب مبكرا، فمنذ أن وطأت أقدام المسلمين أرض المغرب واستوطنوه، وبنو دورهم ومساجدهم دفعتهم الظروف والواقع إلى تثقيف أولادهم فأنشأوا الكتاتيب للقيام بتلك المهمة، وقوام الكتاب معلم، مكان، صبيان، تنشئة دينية عن طريق البرنامج الدراسي الذي يقوم فيها والقائم على إقرائهم لكتاب الله، وتحفيظهم إياه، سواء كان كلا أو جزءا منه، وبالإضافة إلى ضرورة الإلمام بقواعد الكتابة والقراءة وبعض المبادئ

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن محمد البلنسي العبدري: المصدر السابق، ص ص 49-50} مولاي بلحميسي: بجاية في حدائق الكتب، مجلة الأصالة، ع 19، ص 102.

[2] – الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ص 109.

[3] – محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 76.

[4] – ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص 699.

الدينية التي تتصل بالصلاة والصوم والحج مع شيء يسير من علوم اللغة والنحو ومبادئ الحساب.[1]

وكانت بجاية الحمادية كغيرها من مراكز الإشعاع العلمي بالعالم الإسلامي، تزخر بمثل هذه المؤسسات التعليمية، التي كانت تمثل أول مرحلة في التعليم[2]، وكان الصبيان يبدؤون بالقراءة والكتابة ثم يتعلمون شيئا من العربية والأدب وبعض الأحاديث النبوية وتعريفهم بما ينغي أن يتعلمون من فروض الإسلام وتعاليمه، وأخذت هذه المعارف تتسع بمرور الزمن فشملت مبادئ الحساب وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدي وغيرهم من مبادئ العلوم.[3]

وتنتهي هذه المرحلة من التعليم عادة بختم القرآن الكريم أو جزء منه، وبامتحان صغير للتلاميذ لتبدأ مرحلة أخرى وتكون بالمسجد، وأما فترات الدراسة بالكتاتيب فهي مقسمة على النحو التالي: من الصباح إلى الضحى مخصصة للقرآن الكريم، ومن الضحى إلى ما قبله الظهر إلى الكتابة وتعلم الخط، وبعد العصر مخصصة للعلوم الأخرى.[4]

ج-الزوايا:

وهي في الأصل الأربطة جمع رباط، وكان يطلق في صدر الإسلام على رباط الخيل[5]، وذلك مستمدا من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ

[1] – يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية 90هـ-450م، ج1، ط1، جامع القى، السعودية، 2000، ص 226.

[2] – حساني مختار: تاريخ الجزائر الوسيط، د.ط، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص 120.

[3] – محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 86؛ جلول صلاح: المرجع السابق، ص 59.

[4] – أمينة بودشيش: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين (6-7هـ)، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إش: عبدلي لخضر، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008، ص 67.

[5] – علي محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية (212-484هـ/826-1091م)، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، 1996، ص 225.

تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.[1]

والرباط هو زاوية أو ثكنة يرابط بها المتطوعون لمدة يعينوها وذلك لدراسة الثغور، ومع مرور الزمن اكتظت تلك الرباطات بالنخبة من أبناء المسلمين، فلم تعد مهمتها تقتصر على العبادة والجهاد، بل أصبحت مؤسسة تعليمية يقصدها العلماء للتدريس بها وتأليف الكتب والنسخ.[2]

وعرفت كذلك باسم الزوايا ومفردها الزاوية، وهي مشتقة من الفعل لانزوى، وسميت كذلك لأن الدين فكروا في بنائها هم المتصوفة والمرابطون الذين اختاروا الانزواء والابتعاد عن الصخب للتفرغ للعبادة والذكر.[3]

أطلقوا هذا اللفظ على طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وتتألف من عدة غرف للصلاة وحجرات أخرى لتلاوة القرآن وتعليميه خاصة تعليم الصبيان، كما نجد مكتبة ثم حجرة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج المسافرين، وكذلك الطلبة[4]، وكون الزاوية مكان يأتي في المرتبة الثانية بعد المساجد فهذا دليل على أهميته في التطوير العلمي، حيث عملت على نشر العلوم وتحفيظ القرآن.

د-المعاهد:

مع بلوغ الدولة الحمادية النضج والانفتاح، اهتمت بالدراسات العليا، كالتعليم الجامعي، حيث ظهرت في بجاية مؤسسات تعليمية كبيرة مقارنة بالمساجد والكتاتيب والزوايا، أقامتها الدولة لتخريج أجيال من الطلبة والمثقفين، فأنشأ الأمير الناصر بن علناس معهد

---

[1] – سورة الأنفال، الآية 60.

[2] – جلول صلاح: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي (القرن 5-6هـ/11-18م)، إش: محمد بوركبة، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2015، ص ص 60-61؛ سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم التوات خلال القرون (8-10هـ)، إش: مبخوث بودواية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بيكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012، ص 64.

[3] – ابن منظور: المصدر السابق، مج7، ص 380؛ أمينة بودشيش: المرجع السابق، ص 66.

[4] – علي بن محمد بن سعيد الزهراني: المرجع السابق، ص 126.

"سيدي التواتي" في بجاية الذي كان يحتوي على ثلاثة آلاف طالب، تدرس فيه جميع المواد المعروفة بها في العلوم الفلكية والطبية، وتوافد عليها طلاب العلم والمعرفة من كل أصقاع العالم الإسلامي، شرقه وغربه، من الأندلس إلى بلاد فارس، ومن بلاد أوروبا خاصة إيطاليا وفرنسا واليونان، لدراسة وتلقي العلم على أجلة العلماء والفقهاء والمحدثين واللغويين والنحاة والبلغاء والأصوليين، والحكماء والشعراء والأطباء، فمن خلال مؤتمر علمي ألفت تلميذة من هذا المعهد محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس، أمام مجموعة من العلماء الأجانب، فكان مرخصا للفتيان، ليس فقط بالتعليم وإنما بتقديم أطروحات باسم الجامعة.[1]

وقد بلغت هذه الجامعة مبلغا لم تبلغه جامعة معاصرة، وتفوقت ظاهرا لاهتمام الناصر بن علناس بها، فكان يسرف عليها بسخاء حيث وفد إليها العلماء والطلاب من كل فج، كما نهضت نهضة موفقة في عهد سلفه المنصور وابنه العزيز ويحي بن العزيز آخر أمراء بني حماد، حيث كان العزيز يحاضر في هذه الجامعة علماء من إسبانيا وإفريقيا والشرق.[2]

المبحث الثاني: أهم العلوم والعلماء

ازدهرت الجامعة التي أسسها الناصر بن علناس في بجاية بالعلوم المختلفة، وقد ارتفع شأن الفقه والحديث والأدب واللغة والشعر والفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات، وذاع صيتها في الأوساط الأوروبية في العصور الوسطى، حيث عرفها الناس وقصدوها من كل أصقاع الأرض لا سيما أن الأوروبيين كانوا كثيري التردد على بجاية.[3]

مما لاشك فيه أن العلوم تنقسم إلى صنفين رئيسيين: الصنف الأول أطلق عليه اسم العلوم النقلية أو الشرعية، وهي العلوم المنقولة عن السلف، وليس فيها مجالا للابتكار والاختراع، والتي هي مشرعة لنا من الله ورسوله وما يبتعها من علوم لازمة لتمام الفائدة منها

[1] – يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 15؛ عبد الحليم عويس: مرجع سابق، ص 254.

[2] – عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص 340.

[3] – عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص 340.

ومهمة الباحث فيها شرحها وتفسيرها وحسن عرضها والكشف عن جوانب الغموض فيها، والصنف الثاني أطلق عليه اسم العلوم العقلية وهي العلوم التي يهتدي إليها الناس بالعلم عن طريق إعمال الفكر والتجريب.[1]

كما نجد أن علوم كل صنف تتفرع إلى علوم أخرى وهذه الأخيرة تتفرع في بعضها مرة أخرى إلى فروع.[2]

1-العلوم النقلية:

لقد عرفت العلوم الدينية ازدهارا كبيرا بأقطار المغرب الإسلامي عامة والدولة الحمادية، حيث اهتموا اهتماما بارزا وذلك لأجل التفقه أكثر في الدين الإسلامي، ويقول ابن خلدون عن العلوم النقلية بأنها: «العلوم المنزلة المسندة كلها إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأن الجزئيات المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي... وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة...وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للإفادة ثم يتبع ذلك علوم اللسان العربي وهي ممثلة الفقه وأصوله وعلم القراءات والحديث...».[3]

أ-علوم القرآن:

هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويعد المصدر الأول للمسلمين، لذلك اهتموا به قراءة وتلاوة، تجويدا وتفسيرا، كما ألفوا الكثير من الكتب في مجال الدراسات القرآنية[4]، بالإضافة إلى حرصهم الشديد على تلقينهم إياه لغيرهم من خلال

[1] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 466.

[2] – محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية –عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار–، دار غريب، القاهرة، د.ت، ص 158.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 629؛ عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 257.

[4] – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: تواف الجراح، ط1، دار الأبحاث، الجزائر، ج8، ص 386؛ محمد صالح الصديق: البيان في علوم القرآن، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994، ص 30.

المداومة على الحفظ والقراءة والتجويد مطبقين قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وهذا الحديث النبوي يشكل حافزا لتعليم القرآن الكريم.[1]

ومن بين أول العلوم القرآنية التي لقيت اهتماما من طرف المسلمين هو علم القراءات وهو معرفة القراءات المشهورة وكيفية أداء الحروف، كما يضاف إليه فن الرسم وهي أوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف ورسومه، وغايته ضبط نص القرآن الكريم، بالإضافة إلى أنه كانت له الأسبقية في الظهور مقارنة بالعلوم الأخرى كالتفسير والفقه، علما بأنه من أهم العلوم وأكثرها نفعا.[2]

ونظرا للأهمية التي عرفتها علم القراءات في العالم الإسلامي، فإننا نجد علماء المغرب الإسلامي عموما، وعلماء بجاية على وجه الخصوص، فقد اهتموا بالقرآن الكريم وعلومه فكانوا يتدارسونه في المساجد والمدارس والكتاتيب، ومن أجل المحافظة على حفظه كانوا يقرؤون عدة أحزاب يوميا، ومن بين الشخصيات التي برعت في علم القراءات نجد أبو العباس أحمد بن عبد الله المعافري[3] الذي قال عنه صاحب عنوان الدراسة بأنه: «الشيخ المقرئ المتقن الأستاذ النحوي المحصل المقدم في القراءات والمقرئ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز المعروف بابن عفراء، فقد كان حسن التلاوة، صادقة القراءة»[4] وغيرهم من العلماء الذين كان لهم دور كبير في تطوير وازدهار العلوم النقلية ببجاية.

ب-علوم الحديث:

الحديث هو اسم من التحديث، وهو الإخبار ثم سمي به قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى الإخبار في وصف الحديث كان عرفا للعرب الجاهلية منذ كانوا يطلقون على أيامهم المشهورة اسم الأحاديث أحدوثة أو صار حديثا، ثم

[1] – ابن حجر أحمد العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط1، ج1، درا طيبة، الرياض، 2005، ص 269.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 151.

[3] – جلول صلاح: المرجع السابق، ص 65؛ رابح بونار: المرجع السابق، ص 224.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص 104؛ جلول صلاح: المرجع السابق، ص 65.

جعلوه جمعا للحديث تجد معنى الأخبار واضحا حتى في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا ﴾.[1]

ونجد أيضا ابن خلدون يعرفه: «أما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة، لأن منها ما ينظر في ناسخة ومنسوخة، وذلك بما ثبت في تشريعنا من جواز النسخ ووقوعه لطف من الله بعباده وتخفيفا عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها».[2]

وقد اهتم علماء المغرب الأوسط في بجاية بهذا الهلم لفهم أحكام القرآن الكريم، وخاصة في ظل تشجيع وعناية الخلفاء بدراسته وحفظه، فأقبل طلبة العلم على أمهات كتب الحديث منها كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت179هـ/796م)، وكتاب المسند الصحيح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والجامع للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/875م)، والمسند الصحيح للإمام مسلم بن حجاج القشيري (ت261هـ/875م)، وكتاب المسند لأبي داوود السحستاني (ت275هـ/889م)، إلى جانب كتب أخرى كان لها رواج كبير بين الطلبة.[3]

ومن بين هؤلاء العلماء الذين اهتموا ودرسوا علم الحديث نذكر عبد الحق الإشبيلي (ت582م/186هـ) نزل ببجاية وعاش فيها إلى غاية وفاته، كان فقيه محدث مشهور حافظ زاهد، ومن مؤلفاته الأحكام الكبرى في الحديث في ست مجلدات والأحكام الصغرى والوسطى والجمع بين الصحيحين صحيح مسلم وصحيح البخاري.[4]

---

[1] – سورة الزمر، الآية 23؛ صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، عروض ودراسة، ط12، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 03.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 556.

[3] – بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003، ص 447.

[4] – ابن قنفد: الوفيات، المصدر السابق، ص 293.

ج-علوم الفقه:

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له، ويعني الحذق والفطنة[1]، ولعل القرآن الكريم أحسن تعبيرا عنه في قوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي {27} يَفْقَهُوا قَوْلِي {28} ﴾.[2]

أما اصطلاحا: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وعرفه ابن خلدون: «هو معرفة أحكام الله في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهية والإباحة يقول: "هو متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت من تلك الأدلة قيل لها فقه».

وبالتالي فهو يتناول جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته، فيبحث في الفرائض الدينية والأحوال الشخصية والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية، أما أهم أصوله فهو القرآن والسنة إضافة إلى الإجماع والقياس.[3]

ومن بين علماء بجاية الذين اشتهروا وبرعوا في الفقه أبو علي الحسن بن علي المسيلي الفقه القاضي أصلة من المسيلة واستقر ببجاية، عرف باسم أبي حامد الصغير، جمع بين العلم والعلم والورع توفي سنة (580هـ/1185م)، له عدة كتب منها: التذكرة في أصول الدين وكتاب التفكير فيما يشتمل السور والآيات من المبادئ والغايات وكتاب النبراس على مفكر القياس.[4]

د-علوم اللغة وآدابها:

لقد شهد أدب الدولة الحمادية في المغرب الأوسط تطورا ملحوظا، فقد أطلق على هذا العصر اسم الازدهار الأدبي، ويؤكد هذا ابن خلدون بقوله: «فيه ترقت فنونه واتسعت

[1] – ابن منظور: المصدر السابق، مج10، ص 292.

[2] – سورة طه، الآيتين 27-28.

[3] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 563.

[4] – محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 58.

موضوعاته وسمت معانيه وأساليبه لتقدم الحضارة المغربية ولتسرب الثقافات الأجنبية إلى الثقافات العربية».[1]

-الشعر:

إن الشعر كلام موزون مقفى مشتمل على الخيال، والمعنى البارع والتعبير الجميل إذ أن الشعر لدى البجائيين احتل مكانة كبيرة، وصار يمثل تقريبا السمة الأدبية العامة في بجاية، ثم أن الطبيعة البجائية أعطت دفعا كبيرا في تألق الحركة الشعرية، فقد اتصفت الناصرية بالطبيعة الساحرة من مياه جارية وجبال خضراء، وجنات تزهو بخضرة أشجارها ورونق أزهارها، هزت مشاعرهم وأزالت جفونهم، كما أثارت ملكاتهم الفكرية.[2]

ونظرا لكثرة الشعراء الذين حفل بهم عصر الخليفة الناصر بن علناس وابنه المنصور وكان منهم عمارة الشريف الحسني أبو الطاهر، قيل بأن له علم وأدب وفضل ونيل، بالإضافة إلى أنه شاعر ماهر، وقد ذكر أن شعره جمع في ديوان وروى له مقطوعة شعرية وهي قوله:

سلام كعرف المندل الرطب في الجمر وإلا كما هب النسيم على الزهر

فله در مقـــالتين بعيـــــــرة تعبر فوق الخد عن كامن السر.[3]

ومن بين أبرز الشعراء ابن حمديس الصقلي: ولد أبو محمد عبد الجبار بن أبي أشية بكر بن حمديس الآزدي الصقلي في سرقسطة بجزيرة صقلية سنة (744هـ/1055م) بقي مدة في صقلية، ثم بعد ذلك هاجر إلى الأندلس ونزل بمدينة إشبيلية، وعاش بها في حاشية المعتمد بن عباد ومدحه في كثير من شعره، إلا أنه لما نفي المعتمد إلى أغمات لم يستطع ابن حمديس البقاء في الأندلس ولحق بالمعتمد في منفاه بالمغرب الأقصى لكنه توجه بعد ذلك إلى إفريقية ثم دخل إلى المغرب الأوسط ونزل ببجاية، فاستقبله المنصور بحفاوة وبقي

[1] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 754؛ رابح بونار: المرجع السابق، ص 199.

[2] – صالح يوسف بن قربة: المرجع السابق، ص 37.

[3] – مختار حساني: المرجع السابق، ص 43.

بها إلى غاية وفاته في سنة (527هـ/1133م)، ومن آثاره أنه ترك عدة قصائد في مدح أمراء بني حماد ومنها وصف دارا بناها الملك المنصور ببجاية، وجاء في مطلعها:

أعمر بقصرك الملك ناديك الذي أضحى يجديك بينه معمـورا

قصر لو أنك قد كحلت بنـــوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا.[1]

-النثر:

يعتبر النثر من أهم الأغراض الأدبية التي ميزت الأدب البجائي، فقد شكلت الكتابة أبرز الفنون النثرية، وتبوأت مكانة رفيعة لدى البجائيين، كما أن للكاتب في بجاية منزلة عظيمة في نفوس الملوك وعامة الناس، ولذلك لا يتولى هذا المنصب إلا من أوتي قدرا كبيرا من العلم والمعرفة.[2]

والنثر نوعان علمي وفني، الأول يرمي إلى تقديم الحقائق والوقائع التاريخية والثاني يترجم فيه الكاتب عواطفه وأحاسيسه[3]، وقد ذكر الغبريني مجموعة من العلماء نبيغ صيتهم في القرن (7هـ/13م) في حاضرة بجاية ومن بينهم محمد بن عميرة ابن طريف الأزدي (ت661هـ)، قال فيه الشيخ الخطيب: «...كان خطيبا في كل جمعة بخطبة من إنشائه، ونحا نحوه كذلك أبو عبد الله الوغليسي الخطيب العارف...ولي الخطابة بجامع القصبة المحروسة من بجاية».[4]

-اللغة والنحو:

لقد كان البجائيون يحرصون على استقامة ألفاظهم وصحة كلامهم، لذلك نجد علم اللغة عندهم في منزلة عالية ورفيعة، وهو أيضا من العلوم القيمة، حيث اهتموا به وسعوا في دراسته وحفظ قواعده، وكل عالم في علم لا يكون متمكنا من علم النحو، فليس عندهم

[1] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 317.

[2] – محمد الطمار: المرجع السابق، ص 198.

[3] – طه حسين: من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1965، ص 122.

[4] – الغبريني: المصدر السابق، ص 282.

بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء، وفي بداية اشتغال أهل بجاية بالنحو كانوا يعتمدون على قراءة كتب الأدب والنصوص دون استعمال كتب النحو.[1]

ثم إن بجاية كانت مهيأة لأن تتم فيها هذه الدراسات على نحو أفضل من أي مقاطعة إسلامية، لأن الصبيان كانوا يتلقون مبادئ النحو في المؤسسات التعليمية، إلى جانب قصائد الشعر، وإن هذه العوامل قد صنعت وأسست لطبقة مثقفة لغويا أثرت الساحة اللغوية بإنتاجها، وتأليفها ومن بينهم: الحسن بن علي بن طريف تخرج على يد أئمة من علماء الأندلس وكبار أساتذتها في القرن (4هـ/10م)، وكان من بين شيوخه الحجاج بن المأمون والقاضي ابن سهل وغيرهم، وقد برز أيضا أبو الفضل القاضي عياض الذي درس النحو في سنة (501هـ/1108م).[2]

3-العلوم العقلية:

لم يقتصر اهتمام العلماء في بجاية الحمادية على العلوم النقلية فقط، بل كانت لهم إسهامات جليلة ودراسات مفيدة في العلوم العقلية، ونبغوا فيها حتى بلغوا شهرة واسعة في المغرب والمشرق وأوروبا[3]، وقد عرفها ابن خلدون بقوله: «هي طبيعة للإنسان من حيث أنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل توجه إلى النظر فيها إلى أهل المال كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها»[4]، ومن فروعها:

أ-الرياضيات:

وعرفها ابن خلدون بقوله: «هو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف، إما على التوالي أو بالتضعيف...ومن فروعها علم الحساب...، والجبر والمقابلة...إلى غير ذلك من

[1] – شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، ط1، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 892.

[2] – مختار حساني: المرجع السابق، ص ص 46-47.

[3] – جلول صلاح: المرجع السابق، ص 69.

[4] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 478.

فروعها»[1]، ويطلق هذا الاسم على الجبر والحساب والهندسة ونحوها وموضعها الكم، فإذا كان متصلا بالإمداد يسمى العلم الذي يبحث فيه بعلم الهندسة وإذا كان العلم منفصلا كالعدد يسمى علم العدد وهو ما يشمله الحساب.[2]

ولعل ميدان الرياضيات يبرز أكثر دور مركز بجاية الثقافي والحضاري وذلك نتيجة احتكاكها بحواضر العالم الإسلامي مما أدى إلى تأثيرها على جنوب أوروبا وإيطاليا بالذات، فقد خطى المسلمون خطوة هائلة في تطوير علوم الحساب والهندسة والجبر والميكانيك وحساب المثلثات والفلك، فنقلوا أصول هذه العلوم من الإغريق والهنود وعكفوا على دراستها والاستفادة منها، فأصلحوا ما بها من أخطاء، وأكملوا ما بها من نقص، وأضافوا معلومات جيدة خاصة في مادة الحساب، لأن الأوروبيين لم يكونوا على علم بها، فهم الذين عرفوهم بنظام الأعداد العشرية والصفر، واستطاعوا أن يزيلوا ذلك التعقيد الذي كان في النظام العددي الروماني واستعملوا نظام الترقيم بل نظام الجمل الذي كان سائدا في العصور القديمة.[3]

ب-التاريخ والجغرافيا:

-علم التاريخ:

حظي علم التاريخ باهتمام بالغ من لدن العلماء العرب، لميلهم إلى معرفة مصائر الأم السابقة ولاهتمامهم بالأنساب وقرأوا أخبارهم وجمعوا ما استطاعوا من الروايات ليألفوا فيها ويدونوا تاريخهم[4]، وقال ابن خلدون في مقدمته: «علم أن فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد تشريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء

[1] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص ص 482-483.

[2] – مولود قاسم نايت بلقاسم: دور بجاية الحضاري، مجلة الثقافة، ع 89، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985، ص 28.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 144.

[4] – مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 346.

في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتنم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرونه في أحوال الدين والدنيا».[1]

وأما التأريخ لدى بجاية في الفترة الحمادية فلم يحظ بعناية كبيرة في بداية الأمر باعتبار أن هذه الفترة كانت ترتكز على العربية والإسلام[2]، باعتبارها أساس الحضارة الجديدة التي أتى بها الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وكانت دراسة التاريخ لا سيما التاريخ البربري عملا أحس البربر بحرج منه إزاء إقبالهم على حضارة جديدة تعقلوا بها وتمسكوا بدينها ولغتها، إلا أنه أثناء نهضتهم الفكرية والثقافية أدراك البجائيون قيمة الكتابة التاريخية، التي تمكنهم من تسجيل الأحداث ومن معرفة الوقائع الماضية وأخذ العبرة منها[3]، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين اهتموا بالتاريخ أبو عبد الله بن حماد الصنهاجي (ت548هـ) وكذلك أبي محمد القلعي الذي كانت له حلقة علمية بالمسجد الجامع ببجاية وأبو عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي له مؤلفات مشهورة في هذا المجال أشهرها كتابي (النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة) وكتاب (ملوك بني عبيد وسيرتهم)، وكذلك الورجلاي الذي ألف كتاب بعنوان (فتوح البلدان)، ويروي أن حماد بن إبراهيم ابن أبي يوسف المخزومي ألف كتاب في التاريخ للأمير العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علناس.[4]

-علم الجغرافيا:

هو علم يعرف به سطح الأرض وما عليها من أنهار وبحار وجبال ومدن وسكان وحكومات ودول وما شاكل ذلك.

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 9.

[2] – صالح بن قربة: المرجع السابق، ص209.

[3] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 268؛ صال بن قربة: المرجع السابق، ص 201.

[4] – محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 110؛ جلول صلاح: المرجع السابق، ص 70؛ رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 197؛ بن الديب عيسى: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 135.

والجغرافية كلمة يونانية الأصل مركبة من كلمتين وهما: وصف الأرض، ويسمى عند العرب علم تقويم البلدان.[1]

وأما بالنسبة للحماديين فلا توجد من الوثائق ما يؤكد أو ينفي ظهور مؤلفات خاصة في الجغرافية، إلا أنه ما يؤكد اهتمام الحماديين بعلم الجغرافيا هو رغبة الحماديين في التارة وكسب العيش، وهو عامل من عوامل الاشتغال بالجغرافيا، وذلك من خلال التعرف على المنطقة وأقاليمها وما تحتويه من ثروات، بالإضافة إلى معرفة طرقها ومسالكها وكذلك الشريط الساحلي وما يلعبه من دور كبير في المواصلات في حوض البحر الأبيض المتوسط.[2]

ويقول الإدريسي: «ومدينة بجاية هي الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها معلقة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة».[3]

بالإضافة إلى رحلات الحماديين نحو المشرق لطلب العلم وزيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج وغيرها[4]، كما كانوا يقومون بتدوين معلومات على الأماكن التي يزورونها.

ج-الطب والصيدلة:

إن هاتين الصناعتين متلازمتين في العهد الإسلامي، إذ لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، وبطبيعة الحال لا يخلو مجتمع من المجتمعات في القديم أو الحديث منهما وذلك لأهميتهما في حياة الناس[5]، حيث قال ابن خلدون في الطب: «هذه صناعة ضرورية في

[1] – محمد بن محمد مخلوف: شجر النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، د.ت، ص 160.

[2] – صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 211؛ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 384.

[3] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 116.

[4] – بن الذيب عيسى: المرجع السابق، ص 135.

[5] – جلول صلاح: المرجع السابق، ص 71.

المدن والأمصار لها عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم».[1]

وأما الصيدلة هي علم الأدوية، وهذه الكلمة من أصل هندي، فإن لفظ (صيدلاني) معرب من لفظ (جندناني) وجندن بالهندية هي الصندل من العطور المعروفة عند العرب، وأهل الهند يستعملونه في العلاج كثيرا، وبذلك فإن كلمة (جندلاني) وتحريفها (صيدلاني) تطلق على مزاول العصر، ثم أطلقت بعد ذلك على مزاول الأدوية وعلى كل شخص يجمع الأعشاب النافعة للتطبيب، وكان مصدر العرب الأول في العقاقير كتب الهند.[2]

رافق الاهتمام بعلم الطب والصيدلة لدى الحماديين من خلال إنشاء بيمارستان لتكون مراكز للطب، والبيمارستانات كلمة فارسية الأصل، تتألف من (بيمار) ويقصد بها المريض، وستنا بمعنى مكان أو دار، وبهذا يكون المعنى مكان المرضى أي مستشفى بلغة العصر.[3]

والملاحظ أن أصحاب هذه العلوم لم يكونوا منفصلين عن العلوم الأخرى، نجد منهم: ابن أبي المليح الطبيب، وكان طبيبا ماهرا ومشهورا، وابن النباش البجائي الذي توفي أواخر القرن (5هـ/11م)، وكان طبيب مواظب على علاج المرضى ملما بالعلوم الطبيعية وعارفا بالأمراض وطرق علاجها، ولقد ترك الكثير من الكتب مثل (حواشي حلى كتاب القانون) لابن سينا، وشرح الفصول لأبو قراط في الأرجوزة، توفي سنة 475هـ.[4]

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 410.

[2] – محمد عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1988، ص ص 291-293.

[3] – بن الذيب عيسى: المرجع السباق، ص 135؛ عطار تقي عبود الموساوي: تطور الطب في الأندلس منذ عهود خلافة بني أمية وحتى عصر الموحدين (273-620هـ/886-1232م)، مجلة بابل، ع3، مج21العلوم الإنسانية، 2013، ص 767.

[4] – عبد الحليم عويس: المرج السابق، ص 270؛ رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 270؛ يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 145-146.

ومما لا شك فيه أن كل علم لا بد له من مواد أولية تسيره مثل النباتات التي تستعمل في الصناعات الطبية مثل شجة الحضن، والسقولوفند والبارماريس...، فهذه النباتات معروفة في بجاية الحمادية، مما يدل على اهتمام أهلها بعلم الطب والصيدلة.[1]

د-الفلك والتنجيم:

لقد حث الله سبحانه وتعالى على التفكير في خلق السماوات والأرض والتدبر في هذه المخلوقات، وفي هذه الظواهر الفلكية فكان على المسلمين تنظيم علم ييسر عليهم الوصول إلى مواقع النجوم والكواكب، ولقد كان العلماء البجائيين في عهد الدولة الحمادية نصيب من هذا العلم الذي يرتبط بالظواهر الفلكية المعاشة كاتجاه القبلة وأوقات الصلاة، واختلافها حسب الموقع والفصول كان ضرورة ملحة للاهتمام به.[2]

ومن بين الذين أبدوا اهتمامهم بعلم الفلك نذكر علي بن أبي الرجال التاهرتي الذي عرف بآثاره العلمية الكثيرة منها كتاب الأرجوزة فلي الأحكام الفلكية.[3]

-أهم العلماء:

كانت بجاية في العهد الحمادي مركز إشعاع علمي يقصده خلق كثير من هواة العلم، وتخرج من مدارسها عدد كبير من العلماء، الذين كان لهم دور كبير في تنشيط الحركة الثقافية والفكرية في المدينة، فمنهم ولد ببجاية وتلقى علومه بها، ومنهم من قصدها من أجل التحصيل العلمي وانتهى به المطاف إلى الاستقرار بها ونذكر منهم:

1- أبو علي حسن بن علي محمد المسيلي: يعود أصله إلى مدينة المسيلة، رحل إلى مدينة بجاية وتوفي بها سنة 580هـ، كان فقيها مالكيا، حافظا ومتكلما، تولى القضاء في بجاية إلى أن خلها بنو غانية سنة 581هـ واحتلوها، وأكرهوه

[1] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 260.

[2] – محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 299، بن الذيب عيسى: المرجع السابق، ص 136.

[3] – بولعراس خميسي: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/1009-1086م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إش: مسعود مزهوني، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007، ص 186.

على مبايعتهم، فرفض واعتزل واهتم بالتدريس في مساجدها، ترك مؤلفات كثيرة ذكرها الغبريني وعلق عليها ومنها: (التذكرة في أصول الدين، النبراس في الرد على منكر القياس، التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات في كتاب الإحياء في طريق عرض القضايا وتحليلها حتى لقب بأبي حامد الصغير).[1]

2- عبد الحق البجائي: هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدي الإشبيلي ولد سنة 510هـ/1117م، ونزل بجاية بعد 550هـ، وتوفي بها سنة 582هـ بعد محنة نالته من السلطة السياسية في ذلك العهد، وكتب في تاريخ وفاته على رخام على قبره خارج باب المرسى، كان شاعرا ومهتما بالعلوم الدينية، وقد ألف كتابا في هذا التخصص ككتاب العاقبة، التهجد، الرقائق والأسير، التوبة، مقالة في الفقر والغنى، كتاب الأحكام الكبرى الأحكام الصغر، وتذكر المصادر أن كتاب العقبة كان له تأثير في التصوف.[2]

3- أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزهري الإشبيلي (510-518هـ/117-1185م)، رحل إلى بجاية واتخذها وطنا وكمل بها خبرة، فألف التأليف وصنف الدواوين وولي الخبطة وصلاة الجمعة بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة، وولي قضاء بجاية ومن تآليفه: (الأحكام الكبرى في الحديث، الأحكام الصغرى فيه)، وله كتاب (العاقبة في علم التذكير) وكتاب (التهجد)، وكتاب (في اللغة سماه الحاوي)، وهو في ثمانية عشر مجلدا، وكتابا في الشعر كله في الزهد.[3]

4- ابن حميديس الصقلي: هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الأزدي، ولد في سرقسطة بجزيرة صقلية (447هـ/1055م)، ثم سافر إلى الأندلس

[1] – حروز عبد الغني: تراجم أبرز علماء القلعة بني حماد، مجلة كان التاريخية، ع 21، الكويت، 2013، ص 124.

[2] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 182؛ بن الذيب عيسى: المرجع السابق، ص 139.

[3] – الغبريني: المصدر السابق، ص ص 41-43.

471هـ/1088م، واتصل بالمعتمد بن عباد ومدحه ثم استقر ببجاية، حيث أصبح شاعر المنصور بن الناصر، وله ديوان شعر يشتمل على عدة قصائد في مواضيع مختلفة، منها مدح المنصور بن الناصر، ورثاء علي بن حمدون، وقصائد تصف قصور بجاية الحمادية، وعدة قصائد أخرى في وصف الأزهار والحيوانات والأشياء البسيطة والزهد.[1]

5- محمد بن علي بن جعفر المعروف بابن الرمانة: ولد بقلعة بني حماد في شهر رجب (478هـ/1085-1086م)، عاش شبابه بالقلعة، وتنقل إلى بجاية والجزائر للدراسة والتحصيل، ثم رحل إلى الأندلس لطلب العلم وممارسة التجارة، والتقى بالفيلسوف الأندلسي الكبير أبي الوليد ابن رشيد وابن عتاب وابن طريف، وأخذ عليهم جميعا، وعاد إلى فاس وتولى فيها القضاء، ومن مؤلفاته: (تسهيل المطلب في تحصيل المذهب)، التفصى في فوائد التقصي، التبيين في شرح التلقين)، وقام بتحقيق كتاب التبسيط للغزالي، وجمع نكته ومباحثه.[2]

[1] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 176.

[2] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص ص 32-33.

خاتمة

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع العلاقات الثقافية بين قلعة بني حماد وبجاية خصلنا إلى رصد مجموعة من النتائج، حيث شكلت الحاضرتان القلعة وبجاية أهم مدينتين ليس فقط في المغرب الأوسط بل في العالم الإسلامي، نتيجة نشاطهما الثقافي والعلمي، والتي يمكن أن نحصر هاته النتائج فيما يلي:

1. اعتبرت الدولة الحمادية من أهم الدول التي تأسست بالمغرب الأوسط، فهي دولة مركزية ذات كيان سياسي بربي سني ما أعطتن أهمية كبرى للعلم والعلماء مما سمح ببروز نخبة من العلماء توزعوا على مجالات وتخصصات مختلفة خصوصا ما تعلق منها بالعلوم الدينية.
2. شهدت حاضرتان القلعة وبجاية تسامحا دينيا تعايشا المسلمون مع النصارى واليهود في ظل هذا التسامح تعايش هؤلاء وكانوا على مسافة واحدة أمام الحكام العثمانيين.
3. عرفت الحاضرتان نهضة علمية وثقافية شملت مختلف العلوم والفنون، ولا نبالغ إن قلنا أن القلعة كانت قد ساهمت في تطوير ميدان الفن والعمارة والعمران، فالكثير من قصور إسبانيا ودويلات إيطاليا بنيت على النمط الحمادي، ونضيف أن الدولة الحمادية قد ساهمت في تجسيد العمارة المغربية التي اختلفت عن العمارة المشرقية، رغم أن العمارتين ينطلقان من الحضارة الإسلامية.
4. كان للقلعة دور كبير في ازدهار بجاية عندما انتقل التجار والعلماء والفقهاء، بمعنى آخر أن بجاية كانت استمرار للقلعة في منطقة جغرافية أخرى.
5. أدت الظروف السياسية والاقتصادية دورا كبيرا لتراجع دور القلعة لتعطي المجال لبجاية لظهور مكانة الدولة الحمادية.

6. يمكن القول أن دور القلعة السياسي والاقتصادي كان قد تراجع، إلا أن دورها الحضاري لم يكن كذلك، حيث حافظت القلعة على مكانتها الحضارية مثل الإشارة إلى أن تراجع الدور الاقتصادي للقلعة كان قد عجل بتراجع مكانتها السياسية فاسحة المجال لبجاية والظهور على مسرح الأحداث.
7. يمكن القول أن الدور الذي لعبته المهدية لدى الزيريين عندما حلت محل القيروان هو نفس الدور الذي لعبته بجاية كبديل للقلعة.
8. كان للموقع البحري أهمية كبيرة لبجاية على المستوى الاقتصادي والعلمي وقبله الاستراتيجي، إذ أن القلعة بموقعها المحصين لم تسلم من الوقوع كضحية للحصار الاقتصادي، وهو ما لم يتحقق مع بجاية ذات الواجهة البحرية التي شكلت لها بوابة مع العالم الخارجي ونقطة اتصال مع الأوربيين خاصة.
9. تبدو علاقة التأثير بين القلعة وبجاية واضحة سواء تعلق الأمر بتسيير سياسي أو اقتصادي أو جانب الاهتمام بالعلوم والفنون.
10. ما عرف عن حكام الحماديين خصوصا مؤسس الدولة حماد بن بلكين أنهم رجال سياسيون وقادة عسكريون يفضلون السياسي والجيش عن العلوم والفنون، وهو ما وجدناه يتنقض مع ما قدمه هؤلاء من تشجيع للعلم والعلماء.
11. إن الاستقرار السياسي الذي عرفته الدولة الحمادية في مرحلة بجاية والتحصينات العسكرية وحيوية النشاط الزراعي والصناعي فتح حركة واسعة للتبادل التجاري بين مدن الدولة فيما بينها، كما ساهم ذلك أيضا بازدهار التجارة الخارجية مع الأوربية والمشرق والصحراء.

فمن خلال هذه النتائج والاستنتاجات التي لا تعدو أحكاما نهائية، وإنما تفتح أبوابا جديدة نحو عمل أكاديمي جديد، ونأمل أننا قد ساهمنا ولو بجزء قليل في إعطاء لمحة عامة عن تاريخ بجاية في عهد بني حماد وما ميزها من أحداث وتطورات.

الملاحق

الملحق رقم (01): مئذنة قلعة بني حماد[1]

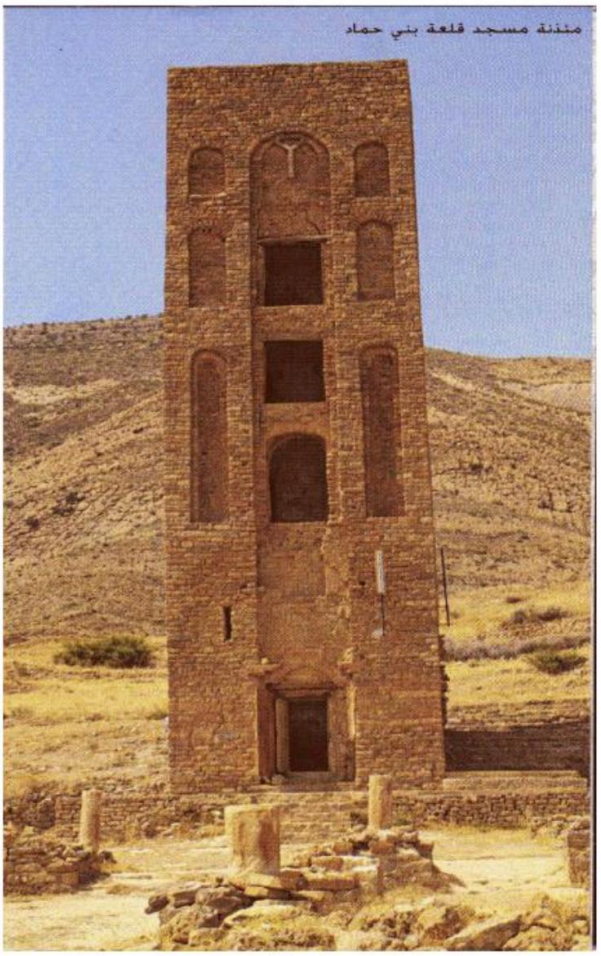

[1] – خالدي عبد الحميد: العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين (50هـ/670م-646هـ/126م)، دراسة تاريخية نقدية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 101.

الملحق رقم (02): مخطط لسور القلعة التحصيني وأبوابه الرئيسية[1]

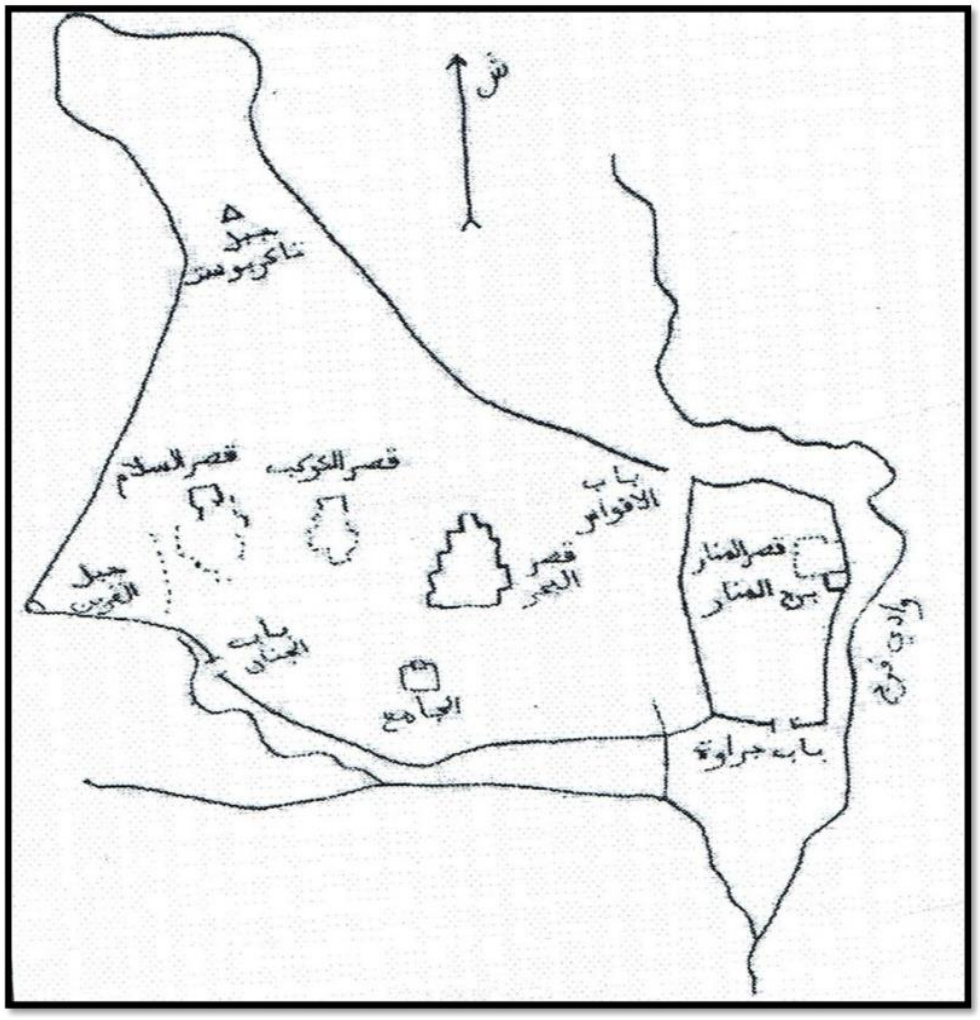

[1] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 204.

الملحق رقم (03): خريطة توضع قلعة بني حماد الحدود وأهم المواقع[1]

[1] – حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، د.ط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 160.

الملحق رقم (04): خريطة توضح تصميم قلعة بني حماد وبجاية الناصرية[1]

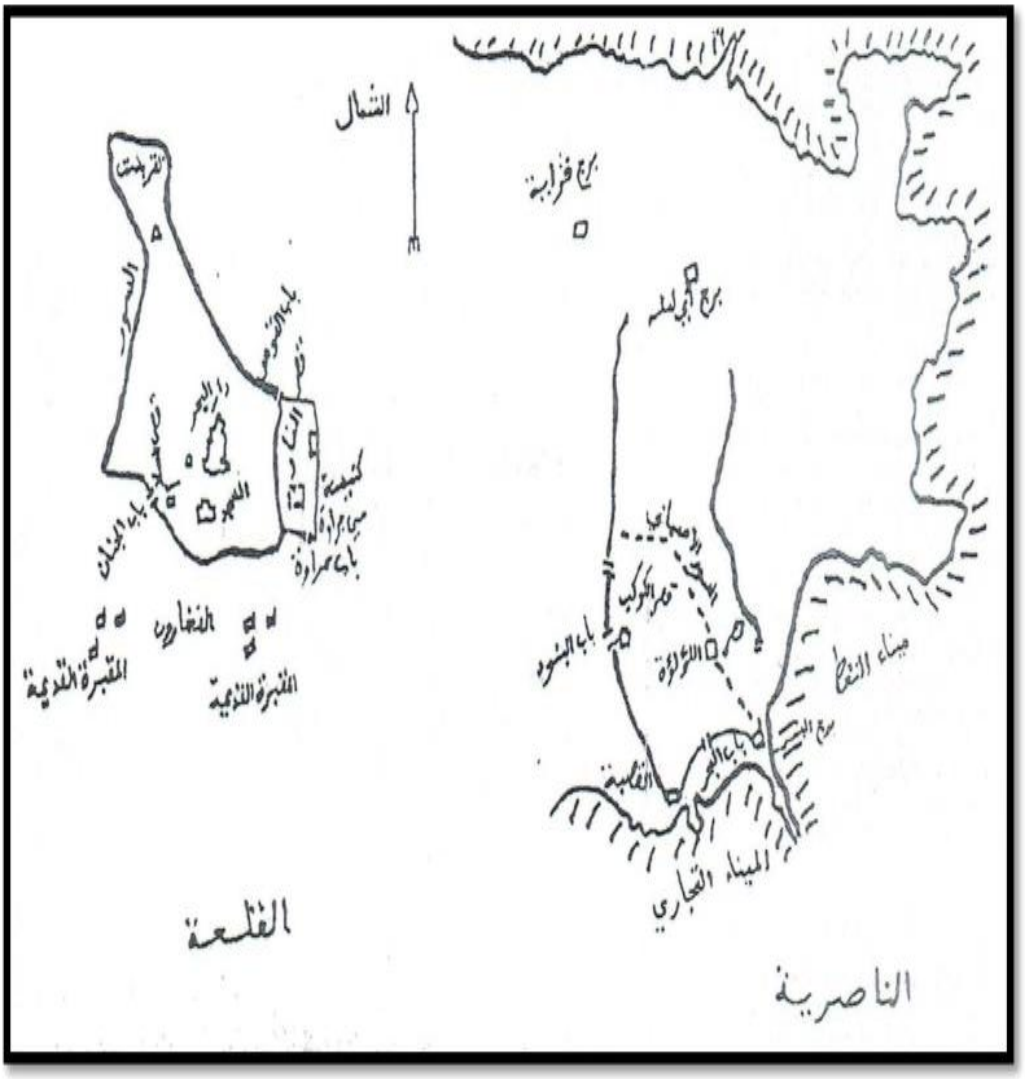

[1] – محمد الطمار: الرواية الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجماعية، الجزائر، 2007، ص155.

الملحق رقم (05): سورة بجاية الحمادية[1]

[1] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 200.

الملحق رقم (06): باب البحر في بجاية[1]

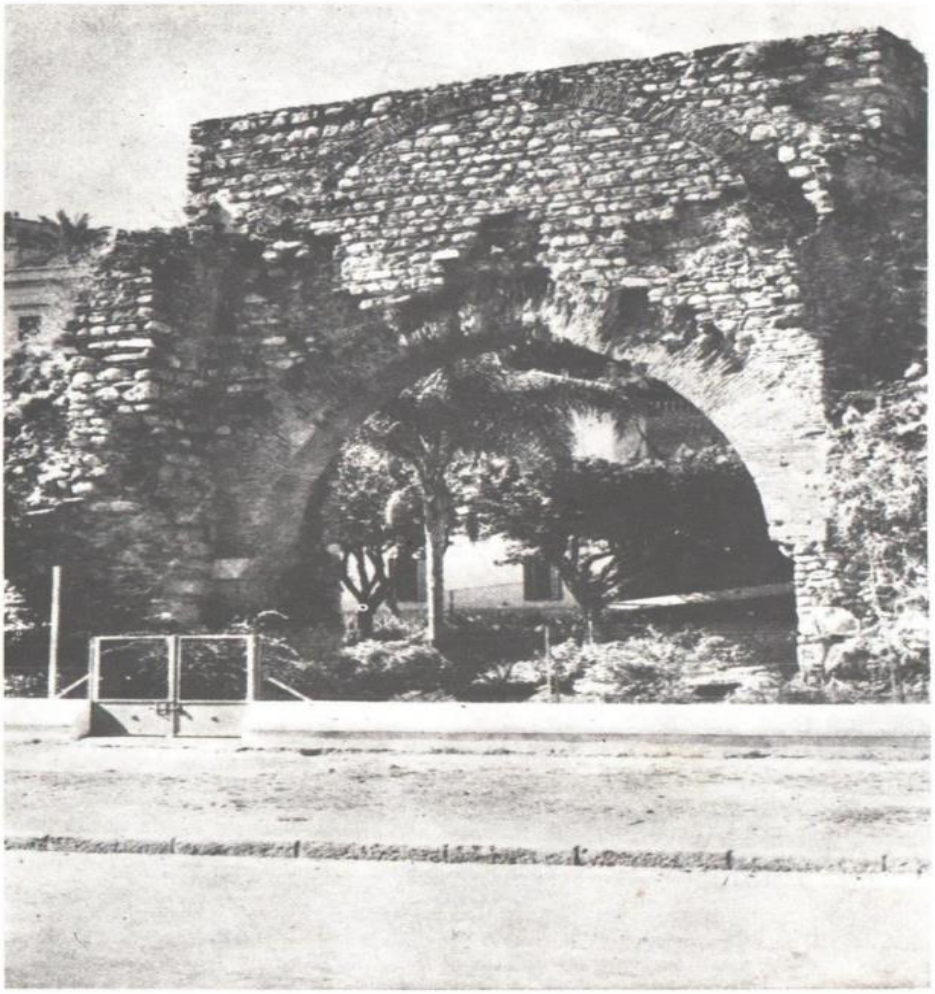

[1] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 162.

الملحق رقم (07): شكل يوضح تصميم مسجد قلعة بني حماد[1]

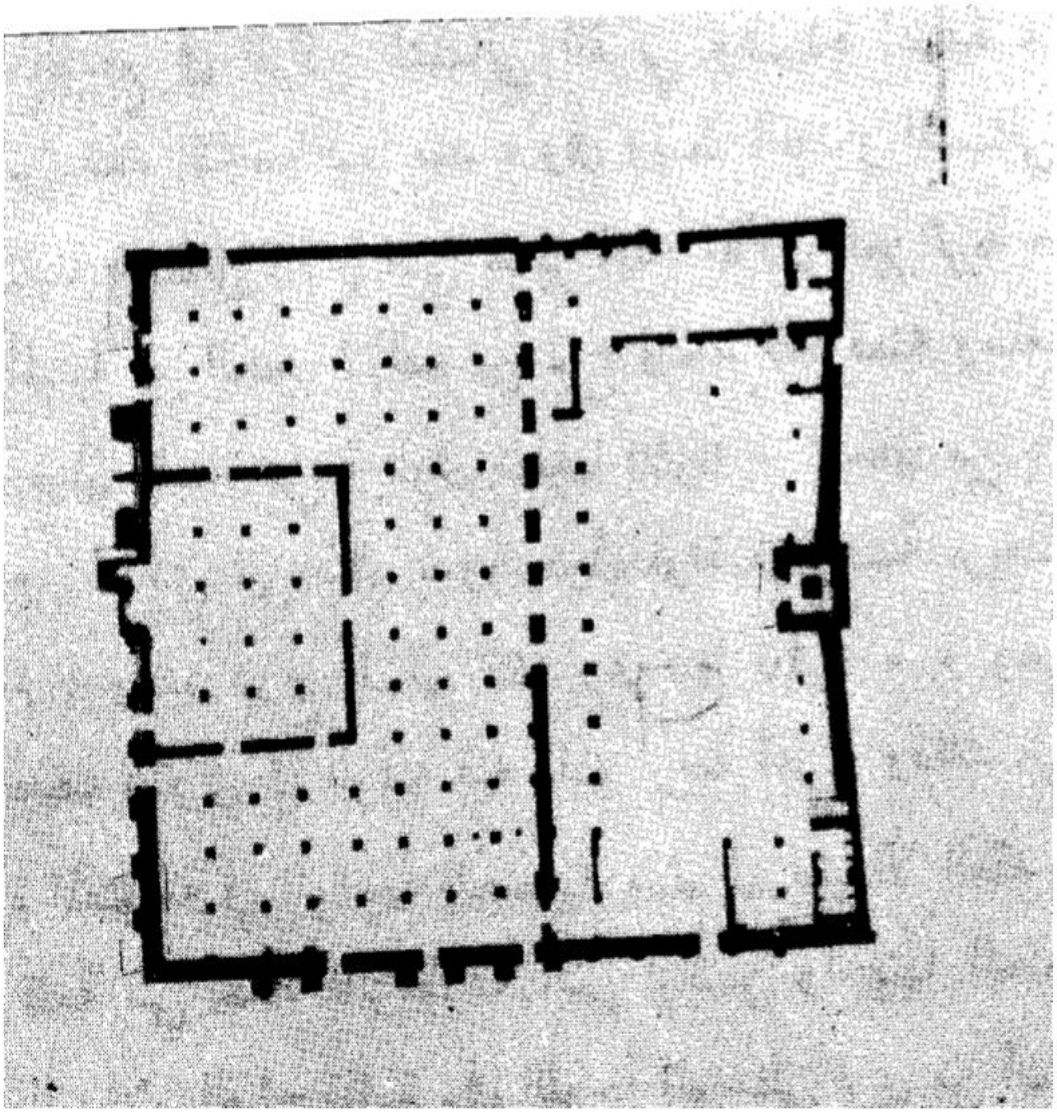

[1] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 211.

الملحق رقم (08): سور بجاية الحمادي[1]

[1] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 200.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. ابن أبي دينار: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286.
2. ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريتي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، مج2، دار الثقافة، لبنان، 1997.
3. ابن حجر أحمد العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط1، ج1، درا طيبة، الرياض، 2005.
4. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون (732-808هـ)، تح، تع: عبد الإسلام الشدادي، ط1، مج2، مكتبة الإسكندرية، الدر البيضاء، 1422هـ/2005م.
5. ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
6. ابن عبد الله شمس الدين الذهبي: سيد أعلام النبلاء، رتبه: حسان المنان، بين الأفكار الدولية، لبنان، ج1، 2004.
7. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفنسال، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1973.
8. ابن قنفد القسنطيني: الوفيات، تح، تع: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
9. ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1907.
10. ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، ج1، طبعة جديد ومنقحة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

11. أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي: تاريخ حضارة الأندلس، تح: لجنة تحقيق التراث العربي، ط5، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
12. أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939.
13. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري: صحيح مسلم، ط1، دار المفتي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1998م.
14. أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، أحمد بدوي، مر: طه حسين، دار العلم للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
15. أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
16. أبو الفتح ناصر الدين المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، تح: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، ط1، ج2، مكتبة أسامة بن زيد، سورية، 1979.
17. أبو عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب بزمن كتبا المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
18. أبو عبد الله الشريف الإدريسي: المغرب العربي من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
19. أبو عبيد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: صحيح البخار، ج6.
20. أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبر البر النمري الأندلسي: الاستذكار الجامع لمذاهب الفقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيها تضمنه الموطأ من معاني

الرأي والآثار، إخراج: عبد المعطي أمين قلعجي، ط1، مج2، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، 1993.

21. أبي الحسن بن علي أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، ط1، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
22. أبي العباس شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمنا، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1969.
23. أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدالية التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1986م.
24. أحمد بن محمود المقري التلمساني: نفح الطيب من خصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت، 1988.
25. الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تح: ك. وسترستين، دار صادر، بيروت، 1992.
26. تقي الدين ابن تيمية: علم الحديث، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
27. التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطوير الديباج، إش، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.
28. جلال الدين السيوطي: تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، تح: هشام بن محمد حيجر الحسني، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2010.
29. جمال الدين إسماعيل أبو الفدا: تقويم البلدان، تصرف وبنود ودوسلان، دار الطباعة السلطانية، 1840.
30. حسن ابن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
31. حسن الوزان: وصف إفريقيا، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

32. شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي: انتصار الفقير السالك كترجيح مذهب الإمام مالك، تح: محمد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
33. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، ط1، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004.
34. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مكتبة القاهرة، مؤسسة العلمي للمطبوعات، لبنان، ج6، 1991.
35. عبد الله إبراهيم الخيري الفرضي: كتاب التلخيص في علم الفرائض، تح: ناصر بن فنخير الفريدي، ج1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ت.
36. العماد أبو عبد الله: خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد المرزوقي وآخرون، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1971.
37. لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: محمد مختاري العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964.
38. محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، د.ط، مطبعة البعث، الجزائر، د.ت.
39. محمد بن سحنون: آداب المعلمين، تح: حسن حسني عبد الوهاب، تح: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1392هـ/ 1972م.
40. محمد علي بن محمد الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد غزو غناية، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 1999.
41. المراكشي أبو عبد الله: الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، سفر 8، قسم 1، تح، تق: تع: محمد بن شريفة، منشورات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984.

42. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم طبعة ليون، دار صادر، بيروت، 1962.
43. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحك سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية والعامة، العراق.
44. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ج4، 1984.

ثانيا: المراجع

أ-باللغة العربية:

1. أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفد القسنطيني: أنس الفقير وعوز الحقير، تص: محمد الفاسي أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.
2. أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، طبع مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ-1906م.
3. أحمد بن محمد أبو زراق: الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
4. أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1991.
5. إسماعيل العربي: دول بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
6. إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، رياض نور الله، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1997.
7. إميل بديع يعقوب، ميشل عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط1، مج1، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1987.
8. أناماري شيمل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، بغداد، 2000.

9. بدوي يوسف علي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 2010.
10. بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003.
11. بعزيق صالح: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.
12. بن الديب عيسى: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
13. بن الذيب عيسى: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة والوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
14. بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
15. تق، مر: أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
16. توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي: إشر: مشاري العدواني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985.
17. الجزائر، 1999.
18. جعفر عليوي موسى الخفاجي: التصوف وجدلية الصراع بين الحرية والعبودية، جامعة بابل، العراق، د.ت.
19. جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، راجع: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 1991.

20. حساني مختار: تاريخ الجزائر الوسيط، د.ط، ج4، دار الهدى، الجزائر، 2013.
21. حسين علي حسين: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، د.ط، مكتبة الخانجي، 1980.
22. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 2004.
23. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، د.ط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.
24. خيال محمد الهادي الجواهري: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992.
25. رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
26. ربحي مصطفى: عليان المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999.
27. رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ من العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
28. رشيد بورويبة: مدن مندثرة، تاجرت، سدراته، أشير، قلعة بني حماد، سلسلة فن وثقافة، الجزائر، د.ت.
29. روبار برانشفيك: تاريخ إفريقيات في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 للميلاد، تر: حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
30. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.
31. سعيد إعراب: القرآن والقراءات المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
32. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، ط1، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

33. صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية، الجزائر.

34. صالح يوسف بن قربة: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

35. صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، عروض ودراسة، ط12، دار العلم

36. الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

37. طه حسين: من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1965.

38. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الحزائر، ط2، دار الصحوة، القاهرة، 1991.

39. عبد الحميد حاجيات وآخرون: الجزائر في التاريخ منذ الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، القاهرة، 2007.

40. عبد الحميد صديقي: تفسير التاريخ، تر: كاظم الجوادي، ط1، دار العلم، الكويت، 1980.

41. عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج1، ط7، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

42. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994.

43. عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، ط5، مكتبة العرفان، سورية، 1993.

44. عبد الله عبد الرزاق مسعود السيد: الطب ورائداته المسلمات، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1985.

45. عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1972.

46. عبد المجيد تركي: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية، تر، تع: عبد الصبور شاهين، مر: محمد عبد الحليم محمود، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

47. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي،

48. علاوة عمار: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

49. علي بن حبيب ديدي: مذكرة في أصول الفقه المالكي، دار العوادي، الدار البيضاء، المغرب، 2010.

50. علي محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية (212-484هـ/826-1091م)، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، 1996.

51. عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، الهلال العربية للطباعة، الرباط، 1993.

52. -عواطف محمد يوسف: نواب الرحلات المغربية الأندلسية، مكتبة الملك الوطنية، الرياض، 1996.

53. كحالة عمر رضا: معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ط5، ج5، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985، ص ص 543-546.

54. للملايين، بيروت، 1981.

55. مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تق، تص: محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

56. محمد الخضري: إتمام الوفاء سيرة الخلفاء، المكتبة الثقافية، بيروت، 1982.

57. محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية، في الحياة الاجتماعية والفكرية، تق: الأمين بلغيث، دار كرم الله للطباعة، الجزائر، 2011.

58. محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

59. محمد الطمار: الرواية الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجماعية، الجزائر، 2007.

60. محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري نذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992.

61. محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1932.

62. محمد بن محمد مخلوف: شجر النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، د.ت.

63. محمد صالح الصديق: البيان في علوم القرآن، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994.

64. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999.

65. محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.

66. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية –عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار–، دار غريب، القاهرة، د.ت.

67. محمد عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1988.

68. محمد عز الدين الغرياني: المذهب المالكي النشأة والموطن وأثره في الاستقرار الاجتماعي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، د.ت.

69. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: توافق الجراح، ط1، ج8، دار الأبحاث، الجزائر.

70. محمود شبيب خطاب: قادة الفتح المغرب الغربي، ط7، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، 1984.

71. مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج2، دار إحصاء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

72. مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011.

73. نجم الدين الهنتاني: المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري الخامس عشر الميلادي، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004.

74. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية من القرن 10 إلى 12م، تاريخ إفريقيا في العهد الزياني، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1962.

75. يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

76. يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية،

77. يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية 90هـ-450م، ج1، ط1، جامع القى، السعودية، 2000.

ب-باللغة الأجنبية:

1. *Rachid bourouiba: les homodistes , Enterprise national dutiore, 1984.*
2. *Dominique Valérian, Bougie port maghrébine, 1067-1510, école française de Rome, 2006.*
3. *Saida benchkh boulanouar: L'algerie par ses archves, Édition casbah, 2015.*

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. أمينة بودشيش: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين (6-7هـ)، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إش: عبدلي لخضر، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008.
2. بولعراس خميسي: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/1009-1086م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إش: مسعود مزهوني، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007.
3. جلول صلاح: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق5-6هـ/11-12م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014.
4. جلول صلاح: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي (القرن 5-6هـ/11-18م)، إش: محمد بوركبة، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2015.
5. زينب رزيوي: مؤسسات التوجيه الثقافي في المجتمع الأوسط ما بين القرنين، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011.
6. سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم التوات خلال القرون (8-10هـ)، إش: مبخوث بودواية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بيكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012.
7. صبرينة بوعزيز: العلاقات الثقافية لقلعة بني حماد (408-461هـ/1017-1070م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018.

8. عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني 633-962هـ/1235-1554م، مذكرة ماجستير في التاريخ، تلمسان، 2007-2008.

9. عبد النور خرباش: نظام منشآت الري في قلعة بني حماد دراسة أثرية، رسال ماجستير، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008-2009.

10. مسعود كواتي: اليهود في المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990-1991.

11. مفتاح خلفات: قبيلة زواوة ما بين القرنين 6-9هـ/15/12م، دراسة (سياسية، عمرانية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف الدكتور: عبد العزيز فيلالي، فسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009.

رابعا: المجلات والدوريات

1. بعطار تقي عبود الموساوي: تطور الطب في الأندلس منذ عهود خلافة بني أمية وحتى عصر الموحدين (273-620هـ/886-1232م)، مجلة بابل، ع3، مج21العلوم الإنسانية، 2013.

2. حروز عبد الغني: تراجم أبرز علماء القلعة بني حماد، مجلة كان التاريخية، ع 21، الكويت، 2013، ص 124.

3. حفيظة بلميهوب: الفقه المالكي في مدرسة بجاية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، مجلة الدراسات الإسلامية، ع 10، ديسمبر 2006.

4. رابح المغراوي: قلعة بني حماد من خلال كتب الجغرافيا التاريخية، قراءة تحليلية، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألفة سنة من التأسيس، أيام 09-2007/11/10، جامعة المسيلة، 2007.

5. رشيد مصطفاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، ع1، السنة الأولى، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1971.
6. عبد القادر دحدوح: عمران قلعة بني حماد عوامل التمدن وأسباب الخراب، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني جماد أسلف من التأسيس، أيام 09-2007/11/10، جامعة المسيلة، 2007.
7. موسى لقبال: مميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة التاريخ، مجلة الأصالة، ع 19، 1974.
8. مولاي بلحميسي: بجاية في حدائق الكتب، مجلة الأصالة، ع 19.
9. مولود قاسم نايت بلقاسم: دور بجاية الحضاري، مجلة الثقافة، ع 89، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985.

خامسا: القواميس

1. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص 122.
2. مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1400هـ-1984م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... أ

مدخل

لمحة جغرافية تاريخية لقلعة بني حماد وبجاية

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي لقلعة بني حماد..... **06**

1-الموقع الجغرافي..... **06**

المبحث الثاني: الإطار التاريخي لدولة الحمادية **10**

-أمراء قلعة بني حماد..... **12**

1-حماد بن بلكين (**405-419**هـ/**1015-1029**م) **12**

2-القائد بن حماد بن بلكين (**419-446**هـ/**1028-1054**م) **13**

3-المحسن بن القائد (**446-447**هـ/**1054-1055**م) **13**

4-بلكين بن محمد بن حماد (**447-454**هـ/**1055-1062**م) **13**

5-الناصر بن علناس (**454-481**هـ/**1062-108**م)..... **14**

المبحث الثالث: أصل السكان والتسمية لقلعة بني حماد..... **15**

1-التسمية..... **15**

2-السكان..... **16**

المبحث الرابع: الموقع الجغرافي والفلكي لبجاية..... **17**

1-الموقع الجغرافي **17**

المبحث الخامس: الإطار التاريخي لبجاية وعوامل الانتقال من القلعة إلى بجاية..... **21**

1-الإطار التاريخي لبجاية (المجال السياسي) 21
2-الأمراء الحماديون في بجاية 24
المبحث السادس: أصل السكان والتسمية لقلعة بني حماد 30
1-التسمية 30
2-العناصر السكانية 31
3-القبائل العربية 33
4-الفئة المهاجرة 35
5-الفئة المسيحية 35
6-الطائفة اليهودية 36

الفصل الأول

الحياة الثقافية والعلمية لقلعة بني حماد

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية 38
1-المساجد 38
2-بيوت العلماء 40
3-الكتاتيب 40
4-المكتبات 42
5-الزوايا 43
المبحث الثاني: أهم العلوم المنتشرة في القلعة والعلماء 44
1-العلوم النقلية 44
أ-علوم القرآن 44
ب-القراءات 45
ج-الفقه وأصوله 47
د-علم الحديث 52

هـ-علم التصوف 53
2-العلوم اللسانية 56
أ-النحو واللغة 57
ب-الأدب 57
ج-الشعر 58
د-التاريخ 60
3-العلوم العقلية 61
أ-علم الحساب 62
ب-علم الفرائض 62
ج-الطب والصيدلة 63

الفصل الثاني

الحياة الثقافية والعلمية لبجاية

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية 65
1-المساجد 65
أ-الجامع الأعظم 67
ب-الكتاتيب 68
ج-الزوايا 69
د-المعاهد 70
المبحث الثاني: أهم العلوم والعلماء 71
1-العلوم النقلية 72
أ-علوم القرآن 72
ب-علوم الحديث 73
ج-علوم الفقه 74
د-علوم اللغة وآدابها 75
2-العلوم العقلية 78

أ-الرياضيات..... 78
ب-التاريخ والجغرافيا..... 79
ج-الطب والصيدلة..... 81
د-الفلك والتنجيم..... 83
خاتمة..... 87
الملاحق..... 90
قائمة المصادر والمراجع..... 99
فهرس المحتويات..... 114
ملخص الدراسة

ملخص المذكرة:

تتمحور المذكرة حول موضوع الدولة الحمادية وعن العلاقات والروابط الثقافية والعلمية بين عاصمتي هذه الدولة، العاصمة الأولى قلعة بني حماد والعاصمة الثانية بجاية أو الناصرية، وجاء تركيزنا في الموضوع على الجوانب الثقافية للحاضرتين اللتين شكلتا مركزي إشعاع ثقافي وحضاري وراحت دراستنا تبحث في خلفيات وظروف الروابط الثقافية بين العاصمتين، وذلك بالتعريف الجغرافي والتاريخي للحاضرتين مرورا بالنخبة الحمادية أو علماء المدينتين وأهم العلوم التي نبغ فيها هؤلاء وانتهاء باستخلاص عرقة التأثير والتأثر بينهما، وإضافة مساهمة الحاضرتين بالإنتاج العلمي والثقافي والإنساني، لذلك تم تصنيف قلعة بني حماد من 1980 كتراث عالمي إنساني.

الكلمات المفتاحية: قلعة بني حماد، بجاية، الحاضرتين، علناس.

Résumé de la note:

Le mémorandum porte sur le sujet de l'État Hammadide et sur les relations et liens culturels et scientifiques entre les deux capitales de cet État, la première capitale Qalaat Bani Hammad et la seconde capitale Bejaia ou Nasiriyah. définition des deux cités, en passant par l'élite hamadi ou les savants des deux cités et les sciences les plus importantes dans lesquelles elles excellaient, se terminant par l'extraction de la race d'influence et d'influence entre elles, et ajoutant l'apport des deux présentes à la production scientifique, culturelle et humanitaire, ainsi le château de Bani Hammad a été classé à partir de 1980 au patrimoine mondial de l'humanité.

***Mots-clés** : Château de Beni Hammad, Bejaia, Al-Haddartin, Hammad.*

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: العلاقات الثقافية بين قلعة بني حماد وبجاية

إعداد الطلبة:

1- وضاح بسمة رقم التسجيل: 190750976 34

2- موبسات حبيبة رقم التسجيل: 07511 0370

القسم: التاريخ **الشعبة:** **التخصص:** تاريخ المغرب الاسلامي

إشراف: تاجين اسماعيل **الرتبة:** أستاذ محاضر

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وإمضاء المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): موبسات حبيبة

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): باحث دائم

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 188o677

الصادرة بتاريخ: 25 جوان 2015 عن دائرة: الخانة

المسجل بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي تحت رقم التسجيل: 075110376

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: العلاقات الثقافية بين قلعة بني حماد وبجاية

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2021/06/09

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences

نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

الرقم: /2021

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): وضاح يسمة

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 755789

الصادرة بتاريخ: 29-03-2016 عن دائرة: المسيلة

المسجل بكلية: العلوم الانسانية الاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ العرب الاسلامي تحت رقم التسجيل: 19075097634

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر/ مذكرة ماجستير/ اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: العلاقات الثقافية بين قلعة بني حماد وبجاية

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 09-06-2021

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.